الدكتور عبد الله ركيبي

3

دراسات في الأدب والنقد

فلسطين

في الأدب الجزائري الحديث



DKA
كتابر العربي

الأعمال الكاملة



الدكتور عبد الله ركيبي

هو عبد الله خليفة ركيبي من مواليد جمورة عام 1928م ولاية بسكرة.

زاول تعليمه الابتدائي بمسقط رأسه والمتوسط والثانوي في تونس أما تعليمه الجامعي والعالي فكان بجامعة القاهرة.

يحمل شهادتي الأهلية والتحصيل من الزيتونة بتونس وشهادات الليسانس والماجستير والدكتوراه من جامعة القاهرة "كلية الآداب" قسم اللغة العربية.

إعتقلته السلطات الفرنسية في معتقل (آفلو) بولاية الأغواط سنة 1956م ثم فرضت عليه الإقامة الجبرية في مدينة بسكرة ولكنه فر منها ليلتحق بجبال الأوراس معقل الثورة.

أرسله جيش التحرير الوطني إلى تونس ومنها أرسلته الحكومة المؤقتة في بعثة تعليمية إلى القاهرة سنة 1960م

بدأ التدريس سنة 1967م بجامعة الجزائر "كلية الآداب" قسم اللغة العربية وترقى في سلك التدريس حتى أصبح أستاذ كرسي للأدب العربي الحديث.

أشرف على البحث العلمي بالقسم المذكور لمدة ثلاث سنوات وبقي عضوا في مجلس البحث العلمي حتى غادر الجامعة.

تخرج على يديه طلبة من الجزائر وأقطار عربية أخرى بالماجستير والدكتوراه وناقش العديد من الأطروحات بجامعة الجزائر دمشق حلب وغيرها...

حاز على العديد من الجوائز والشهادات التقديرية

ترأس نادي "الفكر العربي" الذي أنشأه مثقفون جزائريون بعد الإستقلال سنة 1965 م.

ترأس لجنة الفكر والثقافة بحزب جبهة التحرير الوطني.

أسهم في تأسيس اتحاد الكتاب الجزائريين

له مؤلفات كثيرة في الأدب والفكر والثقافة

الدكتور عبد الله ركيبي

فلسطين
في الأدب الجزائري الحديث



DKA
دار الكتاب العربي



د. عبد الله ركيبي

فلسطين

في الأدب الجزائري الحديث

دار الكتاب العربي





عنوان الكتاب	فلسطين في الأدب الجزائري الحديث
اسم المؤلف	عبد الله ركيبي
رسوم الغلاف	لويزة الحسين
التصميم الفني	دار الكتاب العربي

الإيداع القانوني: 3282-2009 المكتبة الوطنية

ردمك : 2-74-833-9947-978

صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة في إطار الصندوق الوطني لترقية الفنون والآداب

الفهرس

مقدمة:

من القضايا الإنسانية ما يبرز مرة ثم يختفي، يتفجر في فترة ثم ينحسر مع مرور الزمن، فتخبو ناره أو تتلاشى نهائيا، ولا يبقى سوى الرماد علامة على ماض عظيم أو العكس، ماعدا قضية واحدة، هي قضية فلسطين، إنها الوحيدة التي لا تخبو نارها ولا تذوب آثارها، ولكنها تتجدد مع الأيام ويستمر زخمها صاعدا مع الزمن، يزداد توهجا كلما قدمت، ذلك أنها قضية فريدة في نوعها عبر التاريخ، فهي ليست قضية حرية فحسب ولكنها قضية الإنسان وضمير الإنسانية، هذا الإنسان الذي ظلم في حقه في الحياة والوجود، وجرح في كرامته ومشاعره بصورة لم يسبق لها مثيل إلا نادرا في التاريخ القديم والحديث، وجرحه هذا لن يندمل إلا بتحقيق العدل واسترداد كرامته التي أهدرت ومازالت تهدر على أرضه.

ويزداد الظلم وضوحا ويتجسد الإجحاف كأبشع ما يكون حين يقع كل هذا في عصر يزعم أنه عصر الحرية واحترام حقوق الإنسان..

ويتضاعف هذا الظلم بالنسبة للفلسطيني حين نشاهد تكالب الإستعمار والصهيونية وتآمرهما على فلسطين العربية، استعمار من نوع جديد، من نوع لا مثيل له.

حقا أن الجزائر مرت بمثل هذه المرحلة وبمثل هذا النوع من الإستعمار الإستيطاني الرهيب وعرفت التمييز العنصري والإستغلال في أبشع أشكاله، ولكن فلسطين عرفت استيطانا لا نظير له في التاريخ، إذ هو ابتلاع بأتم معنى الكلمة، ابتلاع للأرض وطرد شعب بأكمله من أرضه ودياره، وربما لا نجد شبيها لهذا الوضع سوى ما عرف عن الهنود الحمر الذين اقتلعوا من أرض آبائهم وتمت تصفيتهم نهائيا ولم يبق من آثارهم سوى أطلال بالية تشير إلى جريمة تاريخية ارتكبها الإنسان اعتمادا على منطق القوة والبطش والتفوق.

ولاشك قضية فلسطين تشبه في وضعها وظروفها وما أحاط بها من ملابسات وضع الهنود الحمر، فالصهيونية تعمل ليل نهار على تصفية الشعب الفلسطيني ودمجه في كيانها وابتلاعها شيئا فشيئا حتى يأتي الوقت الذي لا يذكر فيه الناس هذه القضية مثلما لا يذكرون قضية الهنود الحمر إلا في مناسبات عابرة، هذا هو هدف الصهيونية في نهاية الأمر، ويبدو أن الضمير الإنساني بدأ اليوم يستيقظ خوفا من هذه الكارثة.. بدأ

ضمير العالم يحس بالأرق لأنه في فترة مضت نام عنها وغفل وخدرته الأكاذيب والدعايات المضللة فاعترف باغتصابها تحت ظروف لا يجد المرء وصفا لها سوى الظلم، ظلم المجتمع الدولي بكامله لشعب ضعيف أمام قوة مادية متفوقة متسلطة، فالظلم كما يصدر عن الفرد يصدر عن الجماعة:

والظلم من شيم النفوس فان تجد ذا عفة فلعلة لايظلم

وإذا وجد الظلم على مر التاريخ، فإنه لم يوجد كي يبقى ولكن كي يتحقق في ظرف ما أو زمن ما، وذلك حتى يستمر الصراع بين الخير والشر، وبين الحق والباطل.. فقد يظلم غني فقيرا أو يظلم حاكم مستبد شعبه أو قوي ضعيفا أو دولة قوية أخرى ضعيفة، ولكن أن يظلم العالم في فترة شعبا أعزل مثلما حدث في فلسطين فهذا أمر شاذ خارج عن المألوف، خارق لنواميس الكون والطبيعة والحياة، مجتمع دولي يوافق على أن يمنح أرضا يملكها شعب عريق في التاريخ لأناس لا حق لهم فيها، فأي ظلم مثل هذا الظلم؟ أو أي إجحاف بحق الإنسان أكثر من هذا الإجحاف؟.

فحين نعود بالذاكرة إلى أيام التقسيم والإعتراف بالكيان الصهيوني، نقف مشدوهين أمام ذلك القرار الجائر الذي باركه العالم من خلال مجلس الأمن، ويفترض فيه أن يدافع عن الحرية وتحقيق العدل بين الأفراد والدول والشعوب، نذكر كيف أن الأحرار في العالم في تلك الفترة أصيبوا بصدمة عنيفة لم يفيقوا منها سوى في هذه الفترة المتأخرة، حين بدأ الناس يطالبون بحق الشعب الفلسطيني في الحرية والوجود.

لقد كان مفهوم الحرية بعد انتصار الحلفاء هو "الحرية لهم، للأقوياء المنتصرين"، أما الضعفاء فليس لهم إلا التصفيق والتأييد.

وحين يعبر شعب ما عن شعوره بالحرية وحبه للإستقلال يقتل جماعيا كما حدث في الجزائر أثناء حوادث ماي 1945 الرهيبة، ولذلك فلا عجب أن يخدر المجتمع الدولي إلى درجة أن يقر الظلم الذي حاق بفلسطين ويؤيد باطلا يتحقق أمام سمع العالم وبصره.

وإذا كان العالم ظلم فلسطين، فإنها ظلمت أيضا من بعض الأقارب بالخيانة حينا وبالموقف السلبي حينا آخر وبعدم الوعي في أحيان كثيرة:

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من ضرب الحسام المهند

.. لكن يبقى أن الأدباء العرب هم من الفئات التي حملت عبء هذه القضية منذ بدايتها، فرفعوا أصواتهم منددين بالظلم والسلبية وعدم الوعي، وصدرت الروايات والدواوين الشعرية والمقالات والأبحاث التي شارك فيها المثقفون والأدباء والباحثون على اختلاف مشاربهم واتجاهاتهم وعلى امتداد الوطن العربي كله، وفيها يحثون على استمرار النضال وعدم الرضوخ لما فرض بالقوة، حتى تفجرت الثورة الفلسطينية فازداد الإهتمام بالقضية وعاد لها اعتبارها بعد ان كان صوت الشعب الفلسطيني قد خفت فترة من الزمن، وبدأ العالم يفيق من سباته ليقف إلى جانب الحق والعدل فاعترف في قراراته بحق الشعب الفلسطيني في الحرية وتقرير المصير.

وكان الأدباء والمفكرون الجزائريون من أوائل المثقفين العرب الذين وقفوا إلى جانب الشعب الفلسطيني يشدون من أزره منذ بداية القرن الحالي حتى اليوم، فقد شاركوا هذا الشعب معاناته وعبروا عن إحساسهم بمأساته وكشفوا أهداف الصهيونية مبكرا وكتبوا شعرا ونثرا عن هذه القضية التي اعتبروها قضيتهم رغم أن ستارا سميكا ضربه الإستعمار

الفرنسي بين الجزائريين والأقطار العربية الأخرى حتى يعزل الشعب الجزائري عن الأمة العربية التي هو جزء لا يتجزأ منها.

ومع ذلك فإن الجزائريين وهم تحت نير الإحتلال كانوا يتطوعون مع الفلسطينيين للدفاع عن القدس، وكانوا يسافرون خفية على أقدامهم في الغالب من الجزائر مارين بتونس وليبيا ومصر أو الشام لكي يلتحقوا بصفوف المناضلين الفلسطينين حين أعلن العرب الحرب عام 1948م، وكثير منهم وصل إلى فلسطين، والبعض ألقي عليه القبض في الحدود وسجن أو أعيد إلى أرض الوطن.. ومازال البعض منهم يتحدثون عن ذكرياتهم في تلك الفترة ويقصون ما عاشوه أثناءها باعتزاز وفخر لأنهم شاركوا في الحرب من أجل فلسطين العربية، رغم أن بلادهم كما قلت كانت في ذلك الوقت ترزح تحت نير الإستعمار.

والواقع أن الشعب الجزائري ينظر إلى قضية فلسطين باعتبارها قضيته، لعوامل قومية ودينية وإنسانية مثلما ينظر إليها الشعب العربي في شتى أقطار العروبة، وهو لهذا يدين هؤلاء الذين يحاربون بالكلام والخطب أو الذين ينادون بالإستسلام للأمر الواقع لضعف عزائمهم، ويرفض رفضا مطلقا الوصاية على الشعب الفلسطيني، لأنه رفض الوصاية على الثورة الجزائرية من قبل.

وسيجد القارئ الكريم صورة هذا كله في شعر الشعراء ونثر الكتاب الجزائريين، وهو تعبير عن موقف الشعب الجزائري منذ ظهور هذه القضية على مسرح الأحداث حتى اليوم.. سيلمس في هذه الدراسة عمق إحساس الشعب الجزائري بقضية فلسطين وتعاطفه معها وإيمانه بانتصارها الحتمي.

وهذه الدراسة سواء ما يتصل منها بالشعر أو بالنثر نشرت في السبعينات في أماكن متفرقة، وقد فكرت في طبعها في كتاب مستقل لفائدة أبناء الشهداء الفلسطينيين ولسان الحال يردد مع الشاعر:

لاخيل تهديها ولا مال　　　فليسعد النطق إن لم يسعد الحال

فإذا كان أبناء فلسطين يستشهدون يوميا ويتلقون ضربات العدو في كل حين، أليس من أبسط الأمور أن نشاركهم بالكلمة كي نعبر عن رفضنا للظلم والطغيان، ونعبر لهم أيضا بأننا معهم دائما وإلى الأبد.

د. عبد الله الركيبي

1985/11/25



الفصل الأول:

فلسطين في الشعر الجزائري الحديث

فلسطين في الشعر الجزائري الحديث

قبل أن نتعرض إلى موقف الشعراء الجزائريين من هذه القضية -قضية فلسطين- ونسجل إحساسهم العميق بها وكيف عكسوا هذا الإحساس في شعرهم وقصائدهم، وقبل أن نستعرض مواكبتهم لمراحل هذه القضية منذ ظهورها على مسرح السياسة، قبل أن نفعل هذا، نرى أنه لابد من إلقاء الضوء على الأرضية التي وقف عليها الشعراء واستمدوا منها إحساسهم بهذه القضية، كما حاولوا أن يعبروا عنها في قصائدهم.

وبتعبير آخر كيف تجاوب الشعراء الجزائريون مع فلسطين ولماذا؟ ثم هل الشعراء وحدهم هم الذين انفعلوا بها وبأحداثها، أم أنهم كانوا ترجمانا لإحساس الشعب ومشاعره تجاه هذه القضية؟

الواقع أن الشعراء لم يكونوا وحدهم فحسب هم الذين أحسوا بما حل بفلسطين قديما وحديثا، بل شاركهم في ذلك كتاب النثر، وقبل هؤلاء وأولئك، الشعب الجزائري برمته، الذي كان إحساسه بهذه القضية قويا وعميقا.

وليس من شك في أن الكتاب والشعراء إنما نقلوا إحساس هذا الشعب ومشاعره نحو فلسطين، وحاولوا أن يعكسوا هذا الإحساس وهذا الشعور في كتاباتهم نثرا وشعرا.

ولسنا في حاجة إلى أن نعدد الروابط التي تربط بين فلسطين والجزائر منذ فجر التاريخ العربي حتى الآن، كما أننا لا نحتاج إلى أن نضرب أمثلة للمقارنة بين حالة الجزائر وحالة فلسطين، فكلا البلدين عرف الإستعمار الإستيطاني وعرف الإرهاب بشتى صوره، وعرف محاولة الاذابة في جنس آخر، وعرف ماهو أخطر من هذا، ونعني به إلغاء وجوده كشعب له خصائص تختلف عن الدخيل الأجنبي، ثم أخيرا انتماء الشعبين إلى جنس واحد.. إلى أمة واحدة.

ومن هنا كان إحساس الشعب الجزائري "بقضية فلسطين" إحساسا حادا وعميقا. وكان شعور كتاب الجزائر وأدبائها أكثر حدة وشعورا بهذه القضية باعتبارها لسان الشعب والمعبر عن مشاعره وأفكاره.

ومن هنا أيضا كان هذا الإحساس مبكرا جدا وكان قلق الجزائريين بالغا على ما جرى ويجري الآن بفلسطين.

فمنذ بداية هذا القرن تفطن الكتاب الجزائريون إلى خطر الصهيونية كما تفطنوا إلى خطر الإستعمار الذي ذاقوا مرارته أكثر من غيرهم.. ومما يلفت النظر حقا أن هؤلاء الكتاب بوعيهم اليقظ والمبكر، قد دقوا ناقوس الخطر، وأعربوا عن إدراكهم لخطر الصهيونية كحركة عنصرية استعمارية،

فعلوا هذا منذ وقت بعيد وقبل أن يظهر "وعد بلفور" المشؤوم عام 1917م.

ولكي يتضح هذا لابد أن نعرض لبعض آراء هؤلاء الكتاب، ولابد أن نضرب الأمثلة التي تساعدنا على فهم أبعاد هذه القضية لدى الكتاب والشعراء على السواء.

وأظن أن أول كاتب جزائري تفطن إلى خطر الصهيونية، بل إلى خطر اليهود عامة في أساليبهم لتدمير الشعوب، فهو يحذر الجزائريين من أساليب اليهود الصهيونيين في التأثير على الشباب الجزائري وذلك باستدراجهم إلى التحلل من الأخلاق وإغرائهم، للإدمان على الخمر أو القمار وما إلى ذلك مما يفسد إرادة الشباب وأخلاقه، فيذكر بأن:

"اليهود هم وحدهم الذين أخذو يسعون في تشتيت شملنا ونهب أرزاقنا بواسطة وباء الخمر، وقد نالوا الآن مبتغاهم وصرنا لهم أسارى وعبيدا"

هذا الكاتب هو "عمر راسم" الذي يعد رائدا من رواد الصحافة الوطنية الجزائرية.. وقد كان وعيه هذا المبكر بأساليب اليهود الصهيونيين هو الذي دفعه إلى إدراك نوايا الصهيونية في فلسطين وفي الجزائر معا.

ففي مقال نشره بجريدته "ذو الفقار" في 28 يوليو عام 1914م، وقد نقله من جريدة "المنار" يعالج خطر الصهيونية، نجد "عمر راسم" يعلق على هذه القضية وعلى الخطر الذي لا يضر بفلسطين فحسب وإنما يضر بالعرب جميعا، يعلق بقوله: "بأن التفاهم مع الصهيونية مستحيل، لأن في ذلك اعترافا بهم وبزعامتهم والبلاد المقدسة اشتراها آباء العرب بدمائهم"..

فهو هنا يظهر فهما لحقيقة الصهيونية ووعيا بأهدافها، كما يدلل على أنه كان يتابع مراحل دعوتها إلى تكوين وطن قومي لليهود في فلسطين منذ "مؤتمر بال" بسويسرا سنة 1897م، الذي دعا فيه هرتزل إلى إنشاء وطن قومي لليهود، والذي اتضحت منه أهداف الصهيونية العالمية التوسعية.

ولا شك أن هذا الكاتب الجزائري أدرك أهداف الصهيونية وأدرك حقيقتها، فحاول أن ينبه الأذهان إلى ذلك فيما ينقله أو يكتبه في جريدته، ولسوء الحظ فإن هذه الجريدة لم تستمر طويلا إذ سرعان ما توقفت.

وفي اعتقادي أن إدراك خطر اليهود المتعصبين في الجزائر يرجع إلى زمن بعيد، إلى ما قبل الإحتلال، إلى أواخر القرن الثامن عشر، عندما تولى حكم الجزائر "مصطفى باشا بادن" الذي كان جاهلا والذي أطلق العنان لـ "بوشناق اليهودي"

فأصبح الحاكم بدل الداي، مما أدى إلى ثورة 1805م، التي قادها المجاهد "يحي" وقضى على "بوشناق".

وقد ساعد على هذا الفهم وإدراك نوايا اليهود ظهور قانون "التجنيس" للأجانب من غير الفرنسيين عام 1868م، الذي رفضه الجزائريون واعتنقه اليهود فاعتبروا فرنسيين. وإذ ذاك ركبهم الغرور وأخذوا يظهرون نواياهم ويبدون عداوتهم السافرة للجزائريين.. لعل هذا الماضي كله هو الذي دفع الجزائريين إلى فهم نفسية اليهود الصهيونيين والوقوف على أهدافهم، عن تجربة وإدراك لأساليبهم الملتوية.

وهذا ما يفسر في تقديرنا، تلك العناية الخاصة بقضية فلسطين والخوف عليها من أطماع الصهيونية، وهو الأمر الذي يبين اهتمام الكتاب والشعراء الجزائريين، منذ بداية هذا القرن، بهذه القضية.

وبالطبع فإن "قضية فلسطين" بعد الحرب العالمية الأولى وبعد "وعد بلفور" قد اتضحت أبعادها كما اتضحت الأبعاد التي تهدف إليها الصهيونية بعد هذا الوعد المشؤوم.

وكان لابد أن يعنى الكتاب بأحداث فلسطين ويراقبوا أعمال الإستعمار الإنجليزي الذي نصب حمايته الظالمة على هذا الجزء من الوطن العربي، ثم كان لابد أن يتتبعوا ما تبيته

الصهيونية لأبناء فلسطين، وهذا ما نجده في مقال نشرته "الإصلاح" التي أسسها "الطيب العقبي"، كتبه "محمد السعيد الزاهري" أحد الذين كان لهم الفضل أيضا في الوقوف بجانب العرب الفلسطينيين.. وقد كان هذا المقال الذي كتبه الزاهري سنة 1929م، تحت عنوان "فظائع الصهيونية في فلسطين" أشبه بنداء من الكاتب يدعو فيه الجزائريين إلى التبرع بالمال، ويستثير فيهم الحمية العربية والغيرة الإسلامية، ويذكرهم في نفس الوقت بمواقفهم وإعانتهم لإخوانهم الليبيين في كفاحهم ضد الإستعمار الإيطالي.

إن الكاتب يوجه نداءه للجزائريين أولا ثم للمسلمين ثانيا فيقول:

"أين أنتم أيها الجزائريون الذين بيضوا وجه الجزائر في حرب طرابلس بما كانوا جمعوه من الإعانات يومئذ لإخوانهم المسلميم المجاهدين هنالك، هل تقومون اليوم بين أظهرنا بالإكتتاب وجمع الإعانات من هذه الأمة الكريمة فتضمدوا بها جراح إخوانكم المسلمين في فلسطين.

وحتى يؤثر الكاتب على الجزائريين، وحتى يصور أيضا عمق المأساة في نفوسهم، وكيف شعروا بها وتألموا لما يجري فيها ينقل لنا هذه الصورة المؤثرة:

"أرى في الجزائر أعينا باكية تفيض من الدمع على ضحايا البراق الشريف، وقلوبا دامية ملؤها الألم والحسرة على ما أصاب المسلمين حراس البراق الشريف، وعواطف هائجة ساخطة على أولئك اللصوص الصهيونيين الذين اغتصبوا البراق، وعلى سياسة الإنجليز الجائرة التي تجور على المسلمين وتحابي اليهود في فلسطين"..

فهذا النص يوضح بما لا يدع مجالا للشك بأن الكتاب الجزائريين كانوا يعيشون قضية فلسطين مثلما يعيشون قضيتهم، ويربطون بين واقعهم الوطني وبين الواقع القومي العربي، وسيتضح هذا أكثر في قصائد الشعراء.

ولم يكتف هذا الكاتب بندائه هذا بمثل هذا الأسلوب العاطفي، بل عمد إلى أسلوب السخرية من بعض المنظمات الدينية التي كانت لا تلتفت إلى فلسطين وتهتم بما يجري في الحجاز عندما قامت ثورة "الوهابيين" التي وقف ضدها أصحاب الطرق الصوفية "الذين يتباكون على الإسلام في الحجاز ولا يضيرهم ما يقع ببيت المقدس".

والكاتب هنا إنما هزته أحداث فلسطين سنة 1928م، التي عبر فيها الشعب الفلسطيني عن تعلقه بأرضه ووطنه،

ولكن الإستعمار الإنجليزي ومعه الصهيونية، أخذ يضطهد العرب ويسلط عليهم ضغطه وإرهابه.

ولم يقتصر موقف الكتاب في تعميق الإحساس بقضية فلسطين على المقالات التي كانوا يكتبونها في الصحف الجزائرية، وإنما كانوا ينقلون في هذه الصحف أخبار فلسطين وحوادثها، بل ينشرون حتى أخبار الكوارث الطبيعية التي حلت بها، وكذلك كانوا ينقلون في هذه الفترة القصائد الشعرية التي قالها شعراء عرب مثل قصيدة "محمد الشريف" من عمان التي نقلتها جريدة "الإصلاح" سنة 1929م، عن جريدة "السياسة" المصرية تحت عنوان "صدى نكبة فلسطين"، وقد صور فيها الشاعر تأثره لما لحق فلسطين من جراء الزلزال الذي حاق ببيت المقدس وعنوان القصيدة "يا أيها الناس" ومطلعها:

صوت أثار عذابــا	وروع الآمنيـــنا
هدّ القطيــن نفوسا	دكّ البلاد حصونا
أذوى الحسان ورودا	وأثكل المطفلينا

ونحن لا نتعرض لصيغة وأسلوب هذه القصيدة وإنما نقلنا هذا المقطع للدلالة فقط على اهتمام الصحافة الجزائرية وكتاب الجزائر بما يجري في أرض فلسطين.

كذلك نقلت جريدة "النجاح" قصيدة "إيليا أبو ماضي" "نكبة فلسطين" التي مطلعها:

ديار السـلام وأرض الهنـا	يشق على الكل أن تحزنا
فخطب فلسطين خطب العلا	وما كان رزء العلا هينـا

وهذه الجريدة نفسها كانت تنقل أخبار فلسطين بعناوين مختلفة مثل: "الحالة في القدس"، "قلاقل فلسطين".. إلى آخر العناوين التي تلفت انتباه القارئ الجزائري، بل إن الصحافة الجزائرية كانت تنقل المقالات التي تكتب في صحف بالفرنسية كجريدة "لابريس ليبر" الجزائرية.

ولم يتوقف الكتاب الجزائريون عن التعريف بقضية فلسطين قبل الحرب الثانية بل ازدادت عنايتهم بها بعد أن تأسست "جمعية العلماء المسلمين الجزائريين" عام 1931م، وأصبحت لها جريدة رسمية تعبر عن أفكارها الإصلاحية، وهي جريدة "البصائر" وأخذ الكتاب يجبرون فيها المقالات الضافية

عن فلسطين مشيدين بكفاح أبنائها ، وفي نفس الوقت يهاجمون سياسة إنجلترا في فلسطين التي تمالئ الصهيونية وتؤيدها...

وكانت مقالات الشيخ "العقبي"- مثل مقالات "الزاهري" السابقة- تتفجر حماسة فتلهب مشاعر الجماهير وتثير فيهم الحمية والنعرة العربية.

وفي مقال له بعنوان "حصن الإسلام ومعقل العروبة" يتحدث فيه عن كارثة فلسطين التي تثير العالم الإسلامي والعربي ضد انجلترا ، وفي هذا المقال الذي كتبه عام 1937م، يتحدث أيضا عن مكانة فلسطين لدى العرب والمسلمين ويصدره بهذا الشعار الملتهب "لبيك لبيك فلسطين فما أنت لأهلك فقط، ولكنك للعرب كلهم والمسلمين أجمعين" ، ثم يأخذ في تحليل القضية الفلسطينية من الوجهة الدينية والتاريخية مؤكداً حق العرب فيها منذ القدم. في نفس الوقت يستعرض أمجاد فلسطين وتاريخ أبنائها الحافل بالبطولات والأمجاد:

"ولم يجهل أي عربي في أي مكان من الدنيا قيمة هذه البلاد العربية ذات الأمجاد التالدة والآثار الخالدة، ولا أنكر ما لأبنائها الأبطال المغاوير والأسود الأشاوس من فضل على العروبة ودفاع عن حصنها الحصين ومعقلها المتين.. لهذا فإن كارثة فلسطين لم تكن بالأمر الذي يخص أهلها فحسب.. ولكنها

كانت مأساة عامة وكارثة عظمى حلت بالعالم الإسلامي كله والعرب أجمعين.."

ثم يتعرض إلى سياسة انجلترا المنافقة التي كانت كلما غضب الشعب الفلسطيني وتأزمت الأحداث في فلسطين تعمد إلى سياسة ما عرف "باللجان" فكانت تبعث بلجنة تلو أخرى "تتقصى الحقائق".

وكان الدافع الحقيقي إنما هو تخدير الفلسطينيين وتسكين النفوس إلى وقت يتاح فيه أن تنتهي مما حاكته من مكائد بالإتفاق مع الصهيونية.

ولهذا هاجم "العقبي" وغيره هذه السياسة، كما هاجم "لجنة اللورد بيل" التي دعت إلى التقسيم في ذلك الوقت، ويهاجم الإنجليز بلهجة حادة عنيفة وبحماسة تنبئ عن عمق الشعور بهذه الكارثة:

"ومن من الناس لا يلهج اليوم باسم فلسطين الشهيدة، فلسطين الدامية، فلسطين الثاكلة الباكية، الشاكية الحزينة؟؟ فلسطين ضحية الإستعمار الغاشم، ونهبة العدو القوي الظالم.."

ويستمر في هذه النغمة يستثير بها عاطفة الشعب الجزائري حتى يقف إلى جانب الشعب العربي الفلسطيني، ويكشف في ذات الوقت عن ألاعيب الإستعمار الإنجليزي:

"أراد الإنجليز العتاة البغاة تقديمها على مذبح مطامعهم ومصالحهم الخاصة لقمة سائغة للآكلين، وغنيمة لشذاذ العالم ونفاية الأمم من الصهيونيين.."

فهذا الوعي بمكائد الإستعمار الإنجليزي وتآمره مع الصهيونية على فلسطين العربية يؤكد حقيقة وهي أن الكتاب الجزائريين كانوا يتابعون هذه القضية من ناحية، ويعرفون - عن تجربة - أن الإستعمار في الجزائر هو نفسه الإستعمار في فلسطين، لا يريد للعرب خيرا هنا أو هناك.

وأكثر من هذا، أن هؤلاء الكتاب أدركوا مكائد الإستعمار الإنجليزي منذ أن أخذ يتقرب إلى العرب وينافقهم لينقض عليهم بعد ذلك، وهذا ما تعرض له الشيخ "العقبي" في هذا المقال وهو يحلل جوانب هذه القضية، فيذكر بأن الإنجليز قد خدعوا العرب عندما استدرجوهم للوقوف معهم ضد الأتراك، ثم انقضوا عليهم ونقضوا عهودهم الكاذبة وقلبوا لهم ظهر المجن، واستولت انجلترا على أراضي العرب... وهذه

السياسة ظهرت منذ "وعد بلفور" الذي يربط الكاتب بين إعلانه وبين ما تم بعده من سياسة كلها كيد للعرب وخداع لهم.

على أن الكاتب لا يغفل كفاح الشعب الفلسطيني من أجل حريته ووطنه، فيذكر الثورات المتتالية في أواخر العشرينات ثم الثلاثينات، ويحلل ثورة 1936م، التي يعتبرها أكبر ثورة شعبية بأتم معنى الكلمة والتي هددت الإستعمار والصهيونية تهديدا حقيقيا: "حتى تدخّل ملوك العرب ورجالات الإسلام في إيقافها رغبة في المفاهمة مع اجلترا.."

وتعود المكائد من جديد فتعين "لجنة بيل" السابقة الذكر التي - بعد بحث وتمويه - وصلت إلى فكرة التقسيم، تقسيم فلسطين إلى ثلاث مناطق: (منطقة الساحل وهي أغناها لليهود ليؤسسوا بها دولة والمنطقة الجبلية القاحلة للعرب، والأماكن المقدسة تبقى تحت انتداب بريطانيا إلى أجل غير محدود).

هكذا نجد أن هذا الكاتب يظهر في مقاله فهما كاملا لأحوال هذه القضية وظروفها السياسية والتاريخية، وهو الأمر الذي دفعنا إلى أن ننقل فقرات من مقاله حتى يتأكد ما قلناه في صدر هذا الحديث من أن اهتمام الكتاب الجزائريين بقضية فلسطين ليس وليد اليوم بل يعود إلى وقت مبكر وإلى زمن بعيد.

والواقع أن الأمر لا يتعلق بكاتب واحد، ولكنه ينسحب على تيار كبير عني عناية خاصة بهذه القضية، فهناك افتتاحيات كاملة في جريدة "البصائر" منها افتتاحية للإمام "عبد الحميد بن باديس" في سبتمبر عام 1938م، تحدث فيها عن المسجد الأقصى وقدسيته، وعن المعراج، واحتج فيها باسم "جمعية العلماء" على تقسيم فلسطين ودعا إلى تأييد الفلسطينيين وإعانتهم في كفاحهم العادل، كما احتج لدى السلطات الفرنسية وطلب منها بأن تتدخل وتوقف الضغط: "على إخواننا الفلسطينيين، وبالأخص ضد مشروع تقسيم وطنهم الإسلامي العربي منذ قرون عديدة.." وكذلك فعل "المؤتمر الإسلامي الجزائري" الذي عقد في ذلك الوقت، فقد احتج على ما يقع في فلسطين، وتكونت لجان الدفاع عن حقوق الفلسطينيين مثل "لجنة الدفاع عن الفلسطينيين" التي كان يرأسها الشيخ "الطيب العقبي" وكان أمينها العام "العمودي".

ومما يلفت النظر حقا أن الصحافة الجزائرية قبل الحرب العالمية الثانية كانت لا تتوقف عن نقد حكام العرب على مواقفهم المتخاذلة تجاه القضية الفلسطينية، فكانت توجه إليهم سهام النقد: "رأينا أمراء العرب يذهبون بأنفسهم وبمندوبيهم مجتمعين لحضور حفلة تتويج ملك انكلترا بلندرة، فلماذا لم

نرهم يذهبون إليها محتجين على تنكيلها بجيران المسجد الأقصى وحماته.." (البصائر 1938م).

ووقعت الكارثة، وقعت النكبة عام 1948م، وحلت بالعرب الهزيمة في الحرب التي لم يكن هدفها تحرير فلسطين وإنما كانت لدى البعض، فرصة للغنيمة، وساعد على هذه الهزيمة حكام العرب وخيانتهم وتآمرهم على فلسطين مما هو معروف لدى الجميع.

وفوجئ الكتاب الجزائريون بالهزيمة، ولكنهم لم ينفضوا أيديهم من هذه القضية وإنما واصلوا دورهم، وذلك لتحليل اسباب الفشل والهزيمة، فكانت "البصائر" في افتتاحياتها بقلم الشيخ "البشير الإبراهيمي" ترسل صواعق على الإستعمار وأذنابه، هنا وهناك تشرح القضية الفلسطينية خاصة والقضايا العربية عامة، وكانت قضية فلسطين تظهر تقريبا في كل عدد من هذه الصحيفة طوال عامي 1947م و1948م، إلى جانب ما كان يكتبه "توفيق المدني" في "منبر السياسة العالمية" التي كانت بحق منبرا للرأي الحر والتحليل الدقيق والفهم العميق للأحداث التي يمر بها العالم العربي في ذلك الوقت، والظروف التي أدت إلى الكارثة التي لم تكن متوقعة، عدة جيوش تهزم أمام كبشة من المغامرين..

ولعل "الشيخ الإبراهيمي" أكثر كتابنا الذين جندوا أقلامهم لهذه القضية بعد أن حلت الكارثة فكتب سلسلة من المقالات في "البصائر" يصور بها ما حاق بالعرب وما لحق بفلسطين، وعالج جوانب المشكلة من مختلف الزوايا، تحدث عن فاجعة فلسطين وعن ساعة التقسيم، وتعرض لحق العرب وادعاء اسرائيل، وقارن بين مركز العرب واليهود لدى الأقوياء، كما حلل دور الإنجليز في المؤامرة، ولم ينس بالطبع واجب العرب وواجب الجزائر تجاه عرب فلسطين. وكان يستغل المناسبات ليذكر بالنكبة مثل الأعياد والمواسم الإسلامية، وأسلوب "الإبراهيمي" معروف بتلك العاطفة القوية والبيان المشرق الجميل، وزاد من حدة تلك العاطفة أن فلسطين تمثل مأساة العرب جميعا، والإبراهيمي يعرف هذا، ويصوره في مثل هذه العبارات المؤثرة:

"يا فلسطين، إذا كان حب الأوطان من أثر الهواء والتراب، والمآرب التي يقضيها الشباب، فإن هوى المسلم لك أن فيك أولى القبلتين، وأن فيك المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، وأنك كنت نهاية المرحلة الأرضية وبداية المرحلة السماوية، ومن تلك الرحلة الواصلة بين السماء والأرض صعودا بعد رحلة آدم الواصلة بينهما هبوطا، وإليك إليك ترامت همم الفاتحين، وترامت الأينق

الذلل بالفاتحين تحمل الهدى والسلام وشرائع الإسلام وتنقل النبوة العامة إلى أرض النبوات الخاصة، وثمار الوحي الجديد، إلى منابت الوحي القديم..."

ويسترسل بمثل هذا الأسلوب الصافي الجزل، يوضح مكانة فلسطين لدى العرب والمسلمين ويدعوا الجزائريين إلى الوقوف معها ومع أبنائها.

وفي مقال آخر تحت عنوان "واجبات على العرب" يتحدث عن واجبات العرب نحو فلسطين، ويتحدث عن عروبته ككاتب وكعربي، وأن من واجب كل عربي مثله أن يمدّ فلسطين بكل معونة، وأنه إذا: "حشر نفسه في العصبة الذائدة عن فلسطين، وأشركها في العصبة الغالية لفلسطين فليس بمدفوع عن ذلك، لأنه عربي أولا، ومسلم ثانيا، وفلسطيني بحكم العروبة والإسلام ثالثا، فله بعروبته شرك في فلسطين من يوم طلعت هوادي خيول أجداده على البلقاء والمشارف، وتصاهلت جيادهم باليرموك تحمل الموت الزؤام للأروام، وله بإسلامه عهد لفلسطين من يوم اختارها الباري للعروج إلى السماء ذات البروج، وله إلى فلسطين نسبة من يوم قال الناس: مسجد عمر، بل يوم قالوا: غزة هاشم، فإذا لم يقم بالحق ولم يف بالعهد وسم بالعقوق لوطنه الأكبر ووصم بالخيانة لدينه الجامع.."

"فالإبراهيمي" هنا يتحدث عن نفسه كواحد من الفلسطينيين يحس مثلما يحسون ويشعر مثلهم بفلسطين وطنا له، من حقه عليه أن يدافع عنه.

ويربط بين فلسطين والجزائر كما ربط بينه كعربي وبين عرب فلسطين، رغم السد الذي ضربه الإستعمار بين الجزائر والشرق العربي اعتبار الجزائر فرنسية.. رغم هذا فإن "الإبراهيمي" يتخطى تلك السدود ويبرهن على أن الجزائر عربية تشعر بما يجري في فلسطين وكأنه يجري فوق أرضها، وأن هذه الحواجز لن تمنع الشعب الجزائري من التعبير عن عروبته.

"وهذا الوطن الذي نبتنا في ثراه، وغذينا بثمراته، وسقينا عذبه ونميره، وتقلبنا بين جباله وسهوله في النضرة والنعيم، وأودعنا فيه الذخائر الغالية من رفات الأجداد، وطن عربي المنتسب، يشهد بذلك القلم واللسان والأسماء والأفعال، وتشهد بذلك التواريخ المكتوبة، والأخبار غير المكذوبة، فإذا تظلم وتألم لفلسطين، وامتعض وارتمض للعدوان عليها، وإذا نهض يواسي ويعيش، ويسعف ويسعد فهو حقيق بذلك، وأن ذلك لبعض حق فلسطين عليه..".

وإذا كنت قد نقلت فقرات طويلة من هذه المقالات، فإن الدافع هو التدليل على إحساس الكتاب بقضية فلسطين،

وكيف كانوا ينظرون إليها في تلك الفترة، ومدى إحساسهم بالنكبة، وقد عبر عن هذا "الإبراهيمي" ببيانه العربي السهل الممتنع وأسلوبه السلس الرائع، وكما عبر عن إحساس الشعب الجزائري بمقالاته، فإنه ترأس لجنة على مستوى الوطن لإعانة فلسطين.

على أننا لا نحتاج إلى الإطالة في ضرب الأمثلة من كتابات الجزائريين بعد النكبة، كما لا نحتاج إلى ذلك بعد قيام الثورة، وبعد الهزيمة الثانية في 05 يونيو 1967م، فصحف الجزائر ومجلاتها تفيض بالمقالات التي تعالج قضية فلسطين، قبل وبعد النكبة التي فوجئ بها كتاب الجزائر وشعراؤها، وربطوا بينها وبين واقع العرب المتخلف. كما ربطوا بين كفاح الجزائر أثناء الثورة وبين كفاح الشعب الفلسطيني اليوم، مما سنتعرض له في دراستنا للشعر الجزائري الذي سجل أحداث فلسطين وعاشها وعبر عنها في مختلف مراحلها.

ولم يكن هدفنا هنا هو عرض كل ما قيل، فهذا مالا يتسع له المجال، وقد يخرج بنا عن الموضوع الأساسي، وإنما كان هدفنا فقط هو إلقاء الضوء على البيئة التي ظهر فيها الشعر الجزائري الذي أفرد لقضية فلسطين مكانا بارزا بين صفحاته، حتى تتضح خلفية الموضوع، وحتى نرسم خطا بيانيا

للطريق التي سار فيها الشعراء الجزائريون وكيف استجابوا لهذه القضية الهامة بوحي من إحساسهم العربي ومن الشعور بمسؤوليتهم نحوها.. نحو هذا الجزء العزيز من وطننا العربي الكبير.

تمهيد منهجي

كان الشعر الجزائري منذ مطلع هذا القرن، وبداية النهضة الأدبية في الجزائر، معبرا عن قضايا الشعب، مصورا لأحداثه كما كان الأديب شاعرا وناثرا، مواكبا لحركة النضال الوطني والعربي، ومسهما فيها بقلمه وروحه.. وكان يتحسس في كل ذلك عروبته ويستلهم منها قيمه ومثله ومطامحه.

كان الأديب أحيانا يتحول إلى رمز للفداء والتضحية حين يحمل القلم والرشاش معا ويستشهد في أرض المعركة من أجل الحرية والمبادئ التي يؤمن بها شعبه، كما فعل الشاعر الشهيد "الربيع بوشامة" والأديب القصاص "أحمد رضا حوحو"، وكما فعل قبلهما الشاعر الفلسطيني "عبد الرحيم محمود" الذي قال:

سأحمل روحي على راحتي	وألقي بها في مهاوي الردى
فإمـا حياة تسر الصـديق	وأما ممـات يغيظ العـدا
لعمـرك إني أرى مصرعي	ولكـن أغذ إليه الخطى

وكانت مواقف الشعراء والأدباء في الماضي وهم يبذلون أرواحهم من أجل العروبة، الشعلة التي أنارت الطريق لمن جاء بعدهم، ومهدت دروب الحرية للأجيال الأخرى.

وقضية فلسطين قضية العرب الأولى كانت في مقدمة القضايا والمآسي العربية التي انفعل بها شعراء الجزائر، وعبروا عنها في شعرهم يترجمون بذلك إحساس الشعب وتعلقه بها، وإيمانه بحق أبناء فلسطين في استرداد وطنهم السليب، وقد احتلت هذه القضية في شعرهم مكان الصدارة لا من وقت النكبة عام 1948م، فحسب، بل من وقت مبكر جدا.. منذ بدأت تتضح خيوط المؤامرة الصهيونية الإستعمارية على هذا الجزاء من الوطن العربي.

ولعل تطورات هذه القضية التي مرت بمراحل مختلفة تدفع الباحث إلى أن يختار المنهج التاريخي أكثر من المنهج النقدي تقويما وتفسيرا ومقارنة، ويستعرض الإنتاج الغزير الذي ظهر في الشعر الجزائري منذ ما يقرب من نصف قرن.

ولكي يتضح هذا المنهج فلا بد من مسايرة القضية وتطوراتها زمنيا وسياسيا، ويمكن للباحث أن يقسم مراحل هذا الشعر إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول يتحدث عن قضية فلسطين منذ ظهورها على مسرح السياسة حتى نكبة 1948م، والقسم الثاني يتناول الفترة التي تلتها وامتدت حتى نكبة يونيو 1967م، والقسم الثالث يتناول ما بعد النكسة.

فلسطين في الشعر الجزائري قبل النكبة:

حين نتأمل ما بين أيدينا من قصائد كانت تنشر في الصحف الجزائرية أو تلقى في المحافل والندوات، نجد أن قضية فلسطين عاشت في ضمير الشعب وعبر عنها شعراؤه منذ وقت مبكر، وأسهموا في توعية الجماهير بها عن طريق الشعر مثلما كان الأمر بالنسبة لكتاب النثر، وقد سجلوا الأحداث التي عاشتها فلسطين قبل عام 1948م مثل ثورة 1936م، ومشروع التقسيم، وسياسة الإنجليز المعادية للعرب، وتخاذل العرب وخلافاتهم وفرقتهم إلى آخر الموضوعات التي ظهرت في قصائد الشعراء في هذه الفترة الأولى من كفاح الشعب الفلسطيني، والظروف التي أحاطت بهذه القضية.

وقد كانت هذه الفترة نفسها في الجزائر فترة غليان وصراع بين الشعب الجزائري والإستعمار الفرنسي، وكانت فترة مليئة بالحركة والنشاط السياسي والإصلاحي والإجتماعي جعلت الشعب الجزائري يعي أكثر من ذي قبل ذاته ووجوده ويبحث عن طريق حقيقي للحرية، وفي ذات الوقت يعي بقوة قضية فلسطين، ولعل الشاعر "محمد العيد" من أكثر الشعراء في هذه الفترة حديثا عن فلسطين وعن أحداثها الكثيرة، فهو لم ينظم قصيدة واحدة لنقول مثلا إنها مجاملة أو مشاركة وجدانية

منه، وإنما تضمنت قصائده عن فلسطين إحساسه العميق بها وامتد هذا الإحساس والتعبير عنه إلى ما بعد الإستقلال.

ولما قامت الثورة الفلسطينية عام 1936م، وكادت تقضي على النفوذ البريطاني والوجود الصهيوني، وشعرت بريطانيا بالخطر فأخذت تنكل بالأحرار من أبناء فلسطين، أحس "محمد العيد" بالخطر على هذا الجزء من الوطن العربي وأدرك أن يد بريطانيا وراء مؤامرة تعرضت لها فلسطين خفية مرة وعلانية أخرى، فكتب قصيدته "بني التايمز" التي يهاجم فيها الإنجليز ويتحسر على ما حل بأولى القبلتين:

"بني التايمز" قد جرتم كثيرا — فهل لكم عن الجور ازدجار؟
أفي أسواقكم نصبا وغصبا — تسوم (القبلة) الأولى التجـار
اخال (القبلة) انسجرت دماء — كما للبحـر باللجج انسجار

ولكن "محمد العيد" الشاعر الرقيق الحس الذي لا يتعصب ولا ينظر نظرة عنصرية أو عرقية خاصة، المؤمن بالدين الإسلامي إيمانا عميقا والمؤمن ببقية الأديان السماوية، ينظر لليهود كأبناء عمومة العرب، وأن انجلترا هي التي فرقت بينهما لتسود وتعلو، ولكن هذه النظرة فيها مثالية حيث أن هناك من اليهود من يتعصب ضد الأجناس الأخرى، بل يؤمن بالتفوق

العنصري وخاصة من يحملون ويعتنقون فكرة "الصهيونية" العنصرية التي تفرق بين "شعب الله المختار" وبين بقية الشعوب الأخرى. فالشاعر إذن ينظر إلى الخلاف بين العرب واليهود من زاوية خاصة ويعزو الخلاف إلى بريطانيا فقط:

تشاجرت العمومة في ذراها ولولاكم لما وقع الشجار
غدا العبري للعربي خصما بها وكلاهما لأخيه جار
ترون لها العربي أهلا وتأبى الترب فيها والحجار

ثم يوبخ الإنجليز على الوقوف متفرجين أحيانا على ما يجري وأحيانا أخرى يسلطون سخطهم وضغطهم على العرب:

ألم يألمكم حرم مباح وشعب يستجير ولا يجار
ونكبة أوجه بالكشف غرّ لمثل جمالها صنع العجار
كم احتجت لظلمكم وضجت ولكن في قلوبكم انحجار

والشاعر استنفد كل السبل في اقناع انجلترا التي يعرف أنها لا تعي ما يقول، ولم تحرك ساكنا لما يجري أمامها من مآس، وأنها لا تفهم سوى منطق الحرب، والعربي لا يخشى هذه الحرب فهو يعرفها منذ القدم، منذ الحروب في الجاهلية.. وهذا

المنطق من الشاعر لا يتناقض مع إيمانه بالسلم والأخوة، كما أنه هو منطق العصر:

إذن فالحرب للعربي دأب	وهل تخفى (البسوس أو الفجار)؟
شددتم قهره فغلا انفجارا	وعقبى شدة القهر انفجار

إن الشاعر هنا يسجل حقيقة إنسانية وعلمية ويترجم الفكرة البديهية، وهي أن شدة الضغط تولد الإنفجار، وأن الفعل يقتضي "رد الفعل"، والثورات في الواقع تقوم لدوافع كثيرة منها شدة الضغط، ولكن الدافع إلى الحرية هو الذي يحرك الشعوب على مر التاريخ، وهي إحدى المسلمات عي عصرنا.

وعندما دعت "لجنة بيل" إلى التقسيم كحل وسط، أحس الشاعر بالكارثة، وتألم من هذا المشروع المبيت، وشعر بالخطر على القدس، التي يقدسها ويحمل لها في نفسه - كغيره من أبناء العرب والمسلمين - تقديرا خاصا لما لها من مكانة في النفوس، فنراه يتحدث في أسى عن "القدس" ويؤكد حق العرب فيها:

يا القسمة القدس أنت ضيزي	لم يعدل القاسمون فيك

مضوا على الحيف لم يبالــوا	بما جرى من دم سفيك
قد سامه الأجنبـــي خسفــا	وهد من ركنه السميك
القـــدس للعـــرب من زمـان	لم يقبلوا فيه من شريك

ويلاحظ أن لهجة الشاعر وهو يحاول تأكيد حق العرب في فلسطين، لهجة بسيطة ليس فيها ذلك الأسلوب الخطابي الذي يعمد فيه البعض إلى التأكيد بشتى الطرق، لأن الشاعر لا يخالجه شك في شرعية هذا الحق.

ولكن أسلوبه يختلف بعد ذلك وهو يعرض بإنجلترا وبغدرها وتآمرها مع الصهيونيين حتى باعوا فلسطين لليهود بالذهب النضار، فنجد أسلوبا كله سخرية واستهزاء بالإنجليز:

يا (لندرة) لو درى بنونـا	لم يأمنوا الغدر من بنيك
إخال شعب اليهود سـرا	سباك بالمسجد السبيـك
أهكذا تفصل القضايا	بحكمهـــا لجنة المليك؟
قد دل طغيـان انكلترا	على فنـــاء لها وشيـــك

فالشاعر بعد كشف ألاعيب الإنكليز وتآمرهم على فلسطين من مثل تكوين اللجان لتهدئة الخواطر، بعد هذا يلقي

بحكم أخير على مستقبل انجلترا، ويتنبأ لها بالفناء وهو يقصد الضعف نتيجة ظلمها.

وقد تحققت هذه النبوءة إذ أصبحت انجلترا بعد أن كانت لا تغرب عن مستعمراتها الشمس، أصبحت دولة من الدرجة الثانية، وهذا الحكم من الشاعر يستند إلى مبدأ عام وهو أن الظلم والإستغلال بداية النهاية.

ولا تبرح فلسطين خواطر الشاعر وأحلامه ولا تزايله في كل وقت، فهو يذكرها في كل مناسبة، فإذا ما حل عام 1938م، راح الشاعر يناجي هذا العام ويستنطقه عن مستقبل فلسطين، وما يخبئه للعرب في شتى أقطارهم، يعبر عن هذا كله في أسلوب حزين ونبرة متألمة:

سيمت فلسطين خسفا   **عج الحمى منه عجا**

هذا عن الأهل أقصي   **وذلك في السجن زجا**

وفي الشمال هـــنات   **يمجهـــا الذوق مجا**

فيربط الشاعر بين حالة فلسطين وأبنائها المشردين في السجن أو المنفى يربط بينها وبين شمال إفريقيا والجزائر وما

يجري من مآس على أرض المغرب العربي يمجها الذوق السليم وينفر منها الطبع الكريم.

وبرغم ما يجري في فلسطين والمغرب العربي، فإن العرب أو الشرق وهما شيء واحد لدى الشاعر، يلهو ويلعب، ويترقب خيرا من العدو الغاضب ولا يسلك الطريق الصحيح، طريق النضال بل يسلك طريق الأمن:

والشرق ولهان يرجو	أن يسلك الأمن فجا
يود إقناع خصـــم	في غمطه الحق لجا
ويبتغي ردع جـــان	وجه العدالة شجـــا

ومن الملفت للنظر في هذه الأبيات أنها تنطبق حتى على وقتنا الحاضر، فهناك من لا يزال يؤمن بهذا الطريق الذي سلكه الجيل الماضي في مسالمته للإستعمار والصهيونية من الحكام العرب والممالئين للإستعمار، وكأن الشاعر أيضا تنبأ بما يجري الآن فيخاطب الحاضر في الماضي.

وفي ختام القصيدة يتوجه الشاعر إلى ذلك العام بالحديث وهو لا يرجوا منه الشيء الكثير، لأنه أشبه بالطفل الذي لا

يفصح عما في نفسه، مثلما كان الأمر بالنسبة للأعوام السابقة عليه:

يا غام أشبهت طفلا بالأبجدية هجا

والشاعر بعد هذا يلتفت إلى الجزائر يحثها على أن تقف بجانب فلسطين كما وقف العرب إلى جانب الجزائر، لأنه لا يفرق بين الجزائر وفلسطين، ورغم ما يعانيه وطنه من استعمار فإنه يرى إعانة فلسطين واجبا مقدسا:

هلا أعنت القدس منك بلفتــــة غيرى على شعب هنـــاك مروع

القبلة الأولى تضج وتشتــــكي من قسمة المستأسر المستنفـــع

ضمي احتجاجك لاحتجاج حماتها واستنكري تقسيمه واستفظعي

وإذا كان الشاعر هنا يدعو الجزائر إلى أن تحتج على ما يجري في فلسطين، فلا يعني هذا أن الشاعر يؤمن بالإحتجاج فقط، وإنما يؤمن بالعمل الجدي كما سبق أن أكد في قصائده السابقة الذكر، فالاحتجاج هنا وسيلة من وسائل الكفاح، وإن كان لا يجدي مع الإستعمار، العدو اللدود للإنسان، ويتضح لنا ذلك في قصيدة أخرى للشاعر يعبر فيها عن إيمانه بخوض

المعركة، يتمثل ذلك في قصيدته "فلسطين العزيزة" التي قالها وقد بدأت المعارك تلوح في الأفق واشتد الصراع بين العرب والصهاينة، واجتاح العرب حماس متفجر سنة 1947م وما بعدها، وأخذ الشعراء في الجزائر يلهبون حماس الناس للمعركة، فكانت هذه القصيدة التي سخر فيها كل طاقته الحماسية والفنية، يبدأ بالخطاب إلى فلسطين يطمئنها بأن العرب لن يتخلوا عنها أبدا:

فلسطين العزيـــزة لا تراعي	فعين الله راصـــــدة تراعي
وحولك من بني عـــدنان جند	شديد البأس يزأر كالسباع
وإذا استصرخته للحـــرب لبى	وخف إليك من كل البقـاع
يجود بكل مرتخـــص وغال	ليدفع عنك غـارات الضباع
بليت بهم صهاينة جياعـــــا	فسحقا للصهـــاينة الجياع
ستكشف عنهم الهيجاء سترا	وترميهم بكل فتى شجاع

فالشاعر هنا يشيد بخصائل العرب وشجاعتهم وبروح النجدة المتأصلة فيهم، وأن العرب لن يتوانوا في الوقوف إلى جانبها ضد الصهاينة، وأسلوب الشاعر هنا يتماشى مع نداء الحرب الذي رن في أرجاء الوطن العربي بما فيه من حماس وإنشاد وقوة في التعبير والإيقاع.

وهو يقارن بين العرب الشجعان وبين العبرانيين الذين اشتهروا بالجبن والخداع، ونحن لا نطلب من الشاعر أن يناقش المسائل بمنطق السياسي الإنتهازي الذي يعمد إلى التبرير والواقعية الساذجة، وحسبه أن يعبر بصدق عن شعوره وإحساسه، ولذا نجد أحكامه على الصهيونيين فوق أنها تعبر عن واقع معروف وعن أخلاق أصبحت مضرب المثل، فهي تعبر عن صدق تعبيره وإيمانه بما يسوقه في وصف الصهاينة:

وكيف يصادف العبري نجحا ... وما أخـــلاقه غير الخـــداع
قد اشتهر اليهود بكل قطـر ... بأن طبـــاعهم شر الطبــــاع
قد اغتر اليهود بما أصابــوا ... بأرض القدس من بعض القلاع
متى كان اليهود جنود حرب ... أكفاء الأعارب في الصـــراع

وتعلو نبرة الشاعر بعد هذا ويندفع في حماس كبير يوجه كلامه لفلسطين مثلما فعل مطلع القصيدة:

فلسطين العزيزة لا تخافي ... فإن العرب هبوا للدفاع
بجيش مظلم كالليل غطى ... حيالك كل سهل أو بقاع
وما أسيافـــه إلا نجـــوم ... رجوم لليهـــــود بلا نزاع
يرابط في ثغورك مستعــــدا ... على الأهبـــات للأمر المطاع

سيهجم من مراكزه عليهــم ... هجوم الآكلين على القصاع
ويتركهم على الغبراء صرعى ... وما أنصارهم غير النواعــي

في هذه الأبيات يتضح أسلوب القصيدة لدى الشاعر، أسلوب البيان العربي الجزل الذي يعمد إلى الصور القديمة ويستمد وسائله من التشبيهات المعروفة للسيوف، وفي نفس الوقت يصور استعداد العرب للمعركة التي حشدت لها الجيوش العربية تترقب الأمر بالهجوم، وفي ختام القصيدة يهدد الصهاينة:

وقل ما شئت عنا من دعاو ... غرائب أنت فيها ذو اختراع
فإن جوابنا لك عن قريب ... يكون بما ترى لا بالسماع

وقبل هذه الخاتمة يعود الشاعر إلى مدح العرب وإلى تمرسهم بالشجاعة بمثل هذا الأسلوب القوي المتين الذي هو الطابع العام لشعر "محمد العيد".

وليس "العيد" فقط هو الذي فوجئ بفكرة التقسيم وبما يحدث في فلسطين، فهناك غيره من الشعراء الجزائريين الذين انفعلوا وتأثروا بهذه المؤامرة وبالأحداث التي هزت مشاعرهم، والشاعر "أحمد سحنون" كان من بين شعرائنا الذين أحسوا بهذه القضية وعبروا عنها:

أموطئ أقدام النبيين والرسل
وموطن نسل الوحي بورك من نسل
فداك العدى لا تقبلي قسمة العدى
وللموت سيري لا تبيتي على ذل
ولا تحلفي بالناس إن جار حكمهم
عليك فإن الله يحكم بالعدل

ولا شك أن الشاعر "سحنون" مثل "محمد العيد"، ينتمي إلى "الحركة الإصلاحية" التي تنظر إلى القضية نظرة دينية كما تنظر إليها نظرة قومية، ولهذا كان مطلع قصيدته يمثل إيمانه وعقيدته الدينية بالنسبة لفلسطين، ثم يتحدث عن دور العرب وواجبهم في الدفاع عنها:

وخلفك جيش من بني العرب رابض
ليبعد عن أرض الهدى عابدي العجل
يدربه رمز الفدى، بطل الحمى
ذكي الحجا، ماضي العزيمة كالنصل

ويأخذ في ذكر الشخصيات التي ظهرت على مسرح السياسة أو في أرض المعركة، فيذكر فوزي "القاوقجي"،

""وعزام"... وغيرهما ممن ظهروا في هذه الفترة يتحدثون باسم فلسطين.

ثم يتحدث عن هبة العرب جميعا لنصرة فلسطين، وينادي زعماء الشرق ليوحدوا صفوفهم من أجل فلسطين، ويؤكد بأن العرب قد عقدوا العزم على النضال، وأنهم هذه المرة جادون:

لقد جدّ جدّ العرب فاقتحموا الوغى ولا تدفعوا جدّ الحوادث بالهزل

وبالطبع فإن الشاعر يختم قصيدته بنداء إلى الأغنياء وإلى الشعراء وإلى الجيش العربي ليقف وقفة رجل واحد.. والجدير بالملاحظة أن الشاعر يعطي قيمة لدور الأديب والشاعر في المعركة، وأنه مسؤول عن توعية الجماهير وتبصيرها بهذه القضية، وأن الشعر في حقيقته ثورة:

ويا أغنياء المسلمين تسابقوا
إلى البذل والإيثار.. ذي ساعة البذل
ويا شعراء الضاد حثوا شعوبكم
بشعر يداويها من الجبن والبخل
فما الشعر إلا ثورة غير أنها
(تصول بلا كف وتسعى بلا رجل)

ولكن الشاعر في قصيدة أخرى "شباب محمد" يتحدث فيها عن الشباب العربي ويركز على الإيمان ويربط بينه وبين استرداد فلسطين، وأن الإيمان بالقيم الإسلامية هو السبيل إلى المحافظة على فلسطين.

وهذه الفكرة يتفق فيها مع جميع الشعراء الجزائريين تقريبا الذين ينظرون كما سبق إلى فلسطين من زاويتين، الزاوية الدينية والزاوية القومية.

ويتعرض في هذه القصيدة إلى أخلاق العرب، مثلما يفعل غيره من الشعراء، فيشيد بشجاعة العرب، ولا ينسى أخلاق الصهاينة، ثم يتعرض إلى عصبة الأمم التي وافقت على التقسيم وأن موقفها هذا هو سبب ما تعاني منه فلسطين والشرق العربي:

لقد شبت بأرض الشرق نـــار لها في القبلة الأولى التهـــاب
وأنتم خير من خاضوا لظاها فكيف يروعكم هذا الذباب؟

ثم كانت الحرب عام 1948م، ودخلت الجيوش العربية إلى فلسطين، وهب الشعب الجزائري يناصر أبناء فلسطين، ففتح باب التطوع، ونظمت الحملات لجمع التبرعات لمساعدة الثوار، ورغم الحواجز التي كانت تفصل الجزائر عن المشرق

العربي وعن فلسطين بالذات، كانت قلوب الجزائريين تخفق بحب فلسطين، ومشاعرهم تغلي لنكبة الشعب الشقيق.

ولا نقول جديدا إذا ما سجلنا بأن الكثير من أبناء الشعب الجزائري أثناء هذه الحرب خرجوا يمشون على الأقدام محاولين تخطي هذه الحواجز، فمنهم من وصل ومنهم من تلقفته سجون الإستعمار ومعتقلاته بليبيا تحت الحكم الإيطالي، أو في سجون تونس والجزائر تحت الإستعمار الفرنسي، قبل أن يصلوا إلى فلسطين.

في هذه الفترة تناول الشعراء القضية الفلسطينية من مختلف جوانبها، فمنهم من كان يستنهض الهمم ويدعو الشباب العربي في الجزائر وفي غيرها، إلى الجهاد والكفاح دفاعا عن الأرض المقدسة مثل الشاعر "بوشامة" في قصيدته "صوت الجهاد" التي كانت صرخة مدوية للشباب ضد أعداء فلسطين:

فتى العرب هيا فلب النـــدا ... ولاق المنايـــا بســـاح الفدا
فلسطين في النار نهب العدا ... تنادي الجهاد الجهاد الجهاد

وهي في الواقع نشيد حماسي، تكرر فيه كلمة الجهاد، ومعاني القصيدة كغيرها في هذه الفترة، تدور عن الجهاد

ومقاومة الصهيونية، وفيها التهديد بالحرب والإشادة بشجاعة العرب.

وللشاعر قصائد أخرى في نفس الموضوع، يحث فيها الجزائريين على المشاركة بشتى الوسائل في هذه الحرب الدائرة فوق أرض فلسطين العربية.

وهناك شعراء آخرون نسجوا على نفس المنوال، فتغنوا بفلسطين وبعروبتها وأشادوا بكفاح أبنائها مثل الشاعر "عبد الكريم العقون"، ومثله الشاعر "موسى الأحمدي" الذي كتب قصيدة بعنوان "فلسطين تناديكم للجهاد" التي تسير على هذا النسق، فهي أشبه بالنشيد الذي يمكن تلحينه والتي يقول في مطلعها:

فلسطين نادتكم للجهاد	فلبوا الندا يا حمـــاة الــبلاد
وهبوا جميعا سراعـا إلى	حمى يعرب وانفـــروا للطــراد
ومدوا النفوس إليها فدى	فتلكم بني العرب أرض الميعاد

وفي مثل هذه المعركة التي اعتبرها العرب معركة مقدسة، وأن المشاركة فيها ضربة لازب على الجميع، وأن من يخونها أو يتأخر عنها فهو مارق جاحد، في هذه القضية تعلو

النبرة الخطابية في القصائد الشعرية، وقد تعلو حتى في النثر، لأن وقع الحرب على النفوس يكون شديدا، ولأن المشاعر تكون مستعدة للثورة، ولأن جيشان النفوس لا يقف أمامه المنطق والعقل وإنما العاطفة هي التي تقود الفرد شاعرا أو غير شاعر، وهذا ما يفسر الطابع الإنفعالي الحاد والغضب الجارف في قصائد الشعراء في هذه الفترة، ذلك أن الظروف لم تكن لتتيح للشاعر التأمل والدراسة المتأنية والإمعان في الأحداث وتذليلها وتصويرها في شيء من العمق والإستقصاء، فالمرحلة إذن كانت تدفع الشاعر إلى أن يرفع صوته، ليكون عاليا جهيرا مثيرا للحماسة موقظا للهمم، فهو أشبه بشعر المنشورات الحماسية الثورية، لأنه شعر الغضب، شعر يولد مع المحنة فيعبر عنها ويسجل الإنفعال بها دون أن تعينه أشياء أخرى.

وسنتعرض في مكان آخر إلى دراسة بعض الخصائص والسمات التي نلمسها في قصائد الشعراء في هذا الموضوع وفي غيره. كما أننا سنتعرض إلى أساليب الشعراء أو مدى تجديدهم أو تقليدهم في شعرهم.

على أن قيام المعركة قد أتاح للشعراء أن يندفعوا أكثر في تعبيرهم عن الأمل في الإنتصار، كذلك فإن الشهداء الذين

تساقطوا أثناء المعركة قد دفعوهم إلى تصوير هذا الموقف الجديد بشيء من الإنفعال القوي.

فالشاعر "محمد المهدي العلوي" يستبشر بقيام المعركة وبأن نجم العرب قد لاح في الأفق، وهي قصيدة قوية في صياغتها وأسلوبها وطويلة، يقول في مطلعها:

أمل تدفق باسـم الأصبـاح	بين الجوانح كوثري الراح
نفذت أشعته إلى أقصى المنى	ورهيب يأس حالك الأشباح
نجم العروبة لاح في أفق المنى	متدفقا بسنائه الوضـاح

وكان لابد أن تهتز نفوس الشعراء للذين يسقطون صرعى على أرض فلسطين، كان لابد أن يعبروا عن عواطفهم تجاه شهداء المعركة وفي مقدمة هؤلاء الشهداء، "عبد القادر الحسيني".

وقصيدة الشاعر "الربيع بوشامة" "صوت الجهاد" التي سبقت الإشارة إليها هي تجسيم لفكرة الإستشهاد التي صورها البطل العربي وصور حالته وهو يقدم روحه قربانا لوطنه، والشاعر يهدي قصيدته إلى روح بطل القسطل، (الشهيد عبد

القادر الحسيني)، ثم إلى كل جندي عربي مجهول استشهد في حمى الله والوطن بفلسطين...

وفي مطلعها يرسم لنا صورة الشهيد الذي يضحي بحياته وهو يبتسم، لأن قلبه عامر بالإيمان والتضحية:

حي ذاك الصريع في الميــــدان	باسم الثغر هادئ الوجـــدان
يرفع الطرف للسماء شكــورا	نعمة الموت عن حمى الأوطان
والدماء الحمراء تدفق نـــورا	وحياة مشبوبـــة الألـــوان
تبعث الروح في البلاد وتذكي	سـر مجد في الشيب والشبان

فالشهيد رمز دائم، للشباب والكهول، وهذا الرمز يدعونا إلى أن نقتفي أثره ونتابع طريقه، فليست أرواحنا أغلى من روحه.. وهذه الفكرة تصوير لحقيقة ولمثل وقيم يجسمها الشهيد في كل عصر وكل حين.

على أن الشاعر، وقد رسم صورة الشهيد، تحدث بعد ذلك عن "عبد القادر الحسيني" وكيف ضرب المثل واستحق الخلود.

بطل "القسطـــل" الشهيد المفدى	حزت مجدا مخلـــدا في الزمان
إن تعاجلك في الجهـــاد المنايـــا	قد بلغت المدى عـــلى الأقــران
وامتلكت الغايات حزما وعزما	رغم أنف الخصم الطريد المهان

ولهذا فإن على العرب ألا تبكيه، وإنما عليها أن تواصل طريقه وتسير على نفس الدرب:

ليست العروبة أمة الدمع لكن أمة الدفع والفـــدا والطعـــان
سوف يبكيك بالسيوف رجال من بني العرب السادة الأعوان

ومن ثمة يخلص الشاعر إلى فلسطين فيكفكف دمعها ويدعوها إلى الصبر فهي وإن خسرت بطلا فإن شجاعتها أكثر من أن تتأثر بذلك.

ثم يذكر الجزائريين بما يحدث لأشقائهم في فلسطين الذين حاق بهم الظلم وشردوا من ديارهم وقاسوا آلام البرد والجوع، صغارا وكبارا:

حرموا النوم والهـــدوء ولاذوا في البوادي بالجوع والأحزان
من يزرهم ير الأعاجيب فيهم من مآسي "صهيون" والأعوان

ويختم قصيدته بالدعاء على من لم تحركه هذه المأساة، ويشيد بمن يقف إلى جانب عرب فلسطين.

تلك هي صورة فلسطين في ضمائر الشعراء الجزائريين وفي إحساسهم بها وفي اهتمام الشعب الجزائري بها، وتلك هي ظروفها التي حاولوا التعبير عنها منذ ظهورها على مسرح السياسة حتى النكبة.

فلسطين في الشعر الجزائري بعد النكبة:

على الرغم من أن هذه النكبة كانت قوية وشديدة، وكان وقعها على العرب مؤلما وقاسيا إلى درجة أنها زلزلت قيما كبيرة في المجتمع العربي، على الرغم من هذا فإن الشعراء الجزائريين لم يركنوا إلى اليأس بعدها، بل تمالكوا أنفسهم ولم يجرفهم تيار التشاؤم، بل تفاءلوا كعهدهم في السباق بأن هذه محنة ستزول وأن الإنتصار سيحقق لا لفلسطين وحدها، ولكن للعرب أجمعين، وأن ما فرضه الواقع لا يمكن أن يستمر إلى مالا نهاية...

ومن هنا لم يطغ عليهم الشعور بالهزيمة، فليلجأوا إلى اجترار الأحزان والإكتفاء بالتأمل والحلم أو التشاؤم كملاذ لهم من هذه الكارثة... ولم يعمدوا من جهة أخرى إلى اجترار الماضي ينفسون به عن الواقع المر، ولكنهم جردوا أقلامهم لنصرة القضية.... لا بالنسبة لفلسطين وحدها، بل أيضا بالنسبة لقضايا كثيرة لشعوب أخرى مثل شعب فلسطين، كانت بدورها تكافح الإستعمار والظلم والإضطهاد.

والشاعر الجزائري يعي هذا جيدا، بناء على تجربته، ومن ثمة كان سخطه، وكانت ثورته، وكان غضبه، لأن الغضب

يولد الثورة، وكأن الشاعر الجزائري كان يدعوا إلى الثورة الوطنية من خلال شعره عن فلسطين، كان يشعر بحاسة الفنان أن وطنه في حالة مخاض سيتولد عنه حدث قد يغير مجرى حياته وحياة الأمة العربية.

وتفجرت ثورة نوفمبر 1954م، وانطلق الشاعر يواكبها، ويتغنى بها وبفلسطين في نفس الوقت، ويتغنى بالعروبة كفكرة توحد بين الجميع.. وظهرت مواهب شابة جديدة عاشت تجارب فنية متنوعة في بيئات سبقتها إلى التجديد في الشكل والأسلوب، هؤلاء الشبان هم الذين خطوا بالشعر الجزائري خطوة واسعة إلى الأمام بعد أن أمدتهم الثورة بمعين ثري خصب، وبتجارب جديدة، وعاشوا قضية فلسطين كجيل جديد يعيها ويفهمها فهما جديدا.

على أن الجيل السابق لم يسكت ولا توقف هو الآخر سواء بالنسبة للنكبة أو لثورة نوفمبر أو غيرها من الثورات، وإنما واكب الأحداث وانفعل بها وعبر عنها هو الآخر.

وإذا كان هناك اختلاف بين أسلوب الجيل القديم والجيل الجديد في معالجة القضية كما ذكرنا، فإن هذا سيتضح من النماذج التي صورت فترة ما بعد النكبة.

إذن مثلما انفعل شعراء وأدباء عرب بقضية الجزائر وشاركوا الشعب الجزائري آلامه ومحنته، فعل ذلك شعراء الجزائر فيما يتصل بالقضايا العربية وخاصة فلسطين.

وقد اشرت إلى أن الشعراء الجزائريين بعد النكبة لم ينعزلوا أو يهربوا إلى ذواتهم يجترون المحنة ويرددون أصداء الهزيمة في قصائدهم لينفسوا بها عما يعتمل في نفوسهم من قلق أو سخط.. وإنما استمروا في نغمتهم العالية يحثون الجماهير على الكفاح أو يحللون الظروف، وينشرون قصائدهم في صوت جهير كالذين سبقوهم قبل النكبة بلا يأس أو تشاؤم، سوى ذلك التشاؤم الإيجابي، إن صح التعبير- وأعني به الذي يدفع إلى الثورة، لا إلى الهروب من الواقع.

ومما لا شك فيه أن قيام الثورة قد أعطى مزيدا من القوة، ليس فقط لهؤلاء الشعراء، وإنما لباقي الشعراء العرب أينما كانوا.

فالشاعر "مفدي زكريا" في قصيدته "رسالة الشعر في الدنيا مقدسة" يلوم أولئك الذين "يتفرجون" على ما تم في فلسطين بعد النكبة والذين كانوا السبب فيها، فهو يصيب سخطه على الخلف الذي أضاع هذا الجزء من الوطن العربي، وعلى الأبناء الذين يعيشون لأنفسهم وذواتهم ولا يفكرون في

مصيرهم ومصير الأجيال القادمة، بينما اسرائيل أخذت قطعة من وطنهم وهي تترصد للباقي:

ويح العروبة.. كم ديست قداستها وسامها الخلف إفلاسا وخذلانا
وعاكفين على النعمى.. يهدهدهم صفو الليالي.. ومارقوا لبلوانـــا
ناموا. وفي الدار (إسرائيل) ترصدنا وأغمضوا دون (إسرائيل) أجفانا

فالحديث الآن عن إسرائيل أصبح واضحا، فقد قامت بعد النكبة، وكان قبل اليوم حديثا عن اليهود عامة أو عن الصهيونية خاصة.

والشاعر بعد هذا مباشرة يربط بين مأساة فلسطين وثورة الجزائر التي تعيش بدورها حربا دامية:

وفي الجزائر أشلاء ممزقة راحت عن العرب قربانا وغفرانا

ثم يصرح بأن الشرق بدأ يفيق وأن الكارثة التي حاقت به بسبب فلسطين أيقظت فيه الوعي بما يتعرض له من محنة، ولولاها لظل نائما سادرا في سباته... وأن ما وقع تم ولا يفيد اجتراره والتحسر عليه، ولكن علينا أن نتعظ به وأن نأخذ منه العبرة للمستقبل:

الشرق في الخطب طارت عنه سكرته

لولا المصاب لظل الشرق سكرانا

قد كان ما كان، والأيام موعظة

يا ليت ما كان، قبل اليوم، ما كانا.

وإذا كان الشاعر قد تعرض للشرق وللعروبة وللنكبة وللأسباب التي أدت إليها، فإنه لا ينسى "مدينة القدس" التي تجسم النكبة وتجسم أيضا إيمان العرب بقداستها ومكانتها لديهم وحبهم لها، مما يدفعهم إلى العمل على استردادها... فهو يبكيها ولكنه بكاء المؤمن بعودتها ويشاركه في ذلك المغرب العربي كله:

قدس العروبة والآيات شاهدة ما أنفك تغمره حبا طوايانا

وحرمه الضاد، في الآجال، ما فتئت يرتاش من نبل معناها جناحانا

والجرح، ما انفك في أكبادنا غدق يسيل من دمه المسفوك عطفانا

والمغرب الحر لا تخبوا لواعجه بالشرق، ما انفك مسحورا وولهانا

وهذه الفكرة نفسها، فكرة أن فلسطين رغم أنها ضاعت من العرب ورغم كل ما وقع فهي بلاد عربية، هذه الفكرة قد عبر عنها "محمد العيد" في قصيدته "قمة الفتوة" التي تعبر عن إيمان الشاعر بها وبعودتها كما كانت جزءا من الوطن العربي:

نحن شعب الفدى فلسطين منا — وإلينا والحكــم للأرجــواني
قل لمن سامها احتلالا وغصبا — سوف تدري بـلاءنا في الطعـان
يابن صهيــون لا أرى لك بـدا — من عدول عن كيدك الشيطاني
إن نهر الأردن للعــرب نبعـا — ومصبـا من أقــدم الأزمـان
وفلسطيــن للجزيــرة جــزء — عربي من عهدها الكنعــاني
لم يفدك الجواب منـا غيابا — فتهيـأ لما تــرى في العيـان

إن الإيمان "بالعودة" إلى فلسطين والكفاح لاستردادها عبر عنه شعراء عرب كثيرون، ولكن الشعراء الجزائريين يكادون يجمعون على هذه الفكرة، وهم يدعون لها في كل قصيدة تتعرض لفلسطين بعد النكبة وإن اختلفوا في الأسلوب وطريقة المعالجة وطريقة التعبير، فمنهم من يتحدث حديثا مباشرا، كما رأينا، ومنهم من يرسله نداء جهيرا عاليا، والبعض الآخر يحاول أن يصور النكبة بأسلوب بسيط مؤثر لا يعتمد كثيرا على الخطابة أو على التعبير المباشر.

فالشاعر "محمد الأخضر السائحي" يعالج نفس الموضوع، ولكنه يوجه نداءه إلى العربي، إلى أخيه في كل أنحاء الوطن العربي يستحثه على الوقوف بجانب فلسطين وتحريرها ممن

اغتصبوها، وهو مثل "علي محمود طه"، الذي وجه خطابه إلى العربي في قصيدته "فلسطين" التي مطلعها:

أخي جاوز الظالمون المدى ... فحق الجهاد وحق الفدا

يخاطب العربي بمثل هذه القوة كما يخاطبه "السائحي" في بساطة مقنعة في قصيدته "من سوانا":

يا أخي لـب النـدا ... فلقد طـال المـدى
من سوانا يا أخـي ... لفلسطـين الفـدا؟
إنها أرض الجـدود ... كيف تعطى لليهود؟
قل غدا سوف نعود ... يا فلسطـين غـدا

وله نشيد بعنوان "حلفنا سنعود" يقسم فيه بالعودة لأرض فلسطين، وأسلوب القسم في الشعر العربي، في الجزائر أو غيرها أسلوب جديد قديم معا ظهر بظهور الثورات في العالم العربي، وهو في أغلبه من نوع النشيد الذي يقصد منه تحريك الجماهير ودفع الحماس في نفوسهم، بل إثارة الحماس في الجنود المقاتلين في جبهة القتال... وهو أسلوب يختلف عن الأسلوب الهادئ الذي يتأمل صاحبه الأحداث ويعبر عنها في هدوء واتزان.

على أن الشعراء الجزائريين وقد قامت ثورة نوفمبر 1954م، كانوا يعيشون القضيتين معا، يعيشون جرح فلسطين

الدامي وثورة الجزائر بما تعطيهم من قوة جديدة، وبما يعانيه الشعب الجزائري كالشعب الفلسطيني من ظلم وضغط، ولكنهم في الوقت منفسه يتفاءلون بانتصار الجزائر وبعودة فلسطين، بل يصرح الشاعر "صالح خرفي" في قصيدته، "العيد الجريح" بأن كفاح الجزائر ما هو إلا بداية لمعركة أخرى من أجل فلسطين، وأن جيش الجزائر إنما هو جيش عرب فلسطين.. ويذهب إلى أبعد من ذلك فيتفق مع الشاعر "خمار" في قصيدته السابقة "الزحف الأصم".. إذ يرى أن معنى السلام إذا لم يتحقق في الوطن العربي كله فلا معنى له، يقول "خرفي":

فكأنـــي بابن الجزائـــر، وفي شوطه في غد وأنهى المطافا
ثم ولى لمشرق الشمـــس وجهـــا ليلبي نـــداء (حيفا ويـــافا)
جيشنا جيشكم فما طار صوت عربي إلا وطـــرنا خفافـــا
جرحنا مثخن ولكـــن سيغـــدو في سبيل الإخاء جرحا معافى
يكفر القلب بالسلام، وجنـــب عربي عن الكرى يتجافـــى

فالبيت الأخير ينم عن شعور صادق بالألم والتجاوب المطلق مع فلسطين والعروبة مما يذكرنا بالنظرة الإنسانية التي عرفناها عند "المعري" والشعراء الإنسانيين:

فلا هطلت علي ولا بأرضي   سحائب ليس تمتطر البلادا

غير أن "صالح خرفي" هنا يعبر عن إحساسه بالقضية العربية بالإنسان العربي، وهذا الإحساس نابع من أن فكرة القومية في العصر الذي يعيشه إنما هي التي تحرك الشعوب، وهي لا تمثل فكرة عنصرية وإنما تمثل إحساسا مشتركا في الخير والضر معا.

وفكرة الربط بين الجزائر وفلسطين تستولي على "خرفي" في أكثر من قصيدة، فهو دائم الربط بين القضيتين كما ربط بين العروبة والجزائر في قصائد كثيرة.. وقد فعل هذا غيره من الشعراء الجزائريين كما سيأتي الحديث عنه في موضعه.

ففي قصيدته "نوفمبر" التي تعلو فيها النبرة الخطابية أكثر من السابقة يجسد هذا التجاوب بين القضيتين، فهما عنده:

جرحـان، نحن وانتمو في ملتقـى   الرايات وحّدنا الضماد واصهرا

يا أخوة "الوطن السليب" لنا غـد   سيلوح ملتهب المطالـع أحمرا

قسما ستجمعنا (ليـافا) عودة الغا   زي، إذا انبلج الصباح وأسفرا

عيناك يا (يافا) سنجعل عهد إسرا   ئيل بين جفونها طيفا سـرى

ونفس الفكرة نجدها عند الشاعر "ابن القاسم سعد الله"، ولكنه في أسلوبه اختلف عن الأسلوب السابق لدى الشعراء، فقد اختار الشعر الجديد ليعبر عن وحدة الكفاح في الجزائر وفي فلسطين:

من فم الأطلس نشدو: يا فلسطين الدم
من هنا، من قمة مشحونة بالثائرين
من هنا، من مشرق البعث المجيد
من ذرى الأطلس صخاب النداء
سوف يمتد الفداء
لفلسطين التي تتلو الولاء
والتي لما تزل حمراء جرحا وسلاح
للجروح الراعفات
في بلادي حيث كانت
سوف يمتد الفداء

وإذا كان الشعراء الجزائريون قد نظروا إلى الكفاح في الجزائر على أنه بداية لتحرير فلسطين، وأن المعركة واحدة، فهم أيضا قد ربطوا بين اللاجئين هنا وهناك، نلمح هذا في تلك الصورة التي تعبر عن مأساة اللاجئين بالجزائر وفلسطين، هذه

الصورة المتحركة التي يرسمها "خمار" لهم وهم يعيشون في الضياع:

اللاجئون تلوح في أقدامهم وصمات عار
الضائعون على كهوف الذل بين دم ونار
من "سوق أهراس" إلى "يافا" أيا لعن القفار
عشش على هاماتنا حتى نعود إلى الديار

على أن الحديث عن اللاجئين الفلسطينيين بعد النكبة، أصبح ظاهرة في الشعر العربي كله، ولا أظن أن شاعرا عربيا واحدا لم تهزة هذه الكارثة ولم ينفعل بها كقضية قومية وإنسانية معا، وقد هزت مشاعر شعرائنا في الجزائر وعبروا عنها، ولكن تعبيرهم لا يتخذ طابع البكاء والنحيب، كما فعل غيرهم وإنما اتخذ طابع السخط على هذا الواقع الذي فرض بالقوة، كما اتخذ أشكالا جديدة في التعبير، بالإضافة إلى الشكل القديم في القصائد المألوفة.

ويصعب جدا أن نلم بكل هذا أو نتبع ما قيل في هذا الموضوع، وسنكتفي ببعض النمادج فقط، ، لأن قضية اللاجئين تمثل- في الواقع- الأثر الصارخ لضياع فلسطين.

فالشاعر "محمد العيد" هزته هذه القضية وكان يحس بعنف المأساة التي يعيشها اللاجئون، ويعرف أن سبب تشردهم وضياعهم هو الصهيونية التي لابد أن تخرج من فلسطين بالقوة أو بالطوع:

سنرى فلسطين العزيزة مثلمـا كانت مثابة حـرمة وذمـام
ونرى بني صهيون منها قد جلوا بالطوع إن شـاءوا أو الأرغـام
واللاجئين بها ثووا واستمـرأوا عيش الحضارة بعد عيش خيام

فالشاعر هنا يؤمن بعودة اللاجئين حتما ، فهو يتحدث هنا بأسلوب تقريري لا يستخدم فيه تصوير اللاجئين ولا ما يعتمل في نفوسهم من سخط وثورة تدفعهم إلى العودة بتضحيتهم مثلما فعل الشاعر "خمار" في قصيدته "الموتورة" التي يرسم فيها صورة تلك الفتاة اللاجئة المتمردة التي ذاقت مرارة الطرد من الأرض وشقاء التشرد ، فهي مدفوعة إلى الثورة والتمرد لتعود الأرض بالتضحية وبالموت.

والشاعر عمد إلى الشعر الجديد لينقل لنا صورة حية لهذه الفتاة فيما يشبه القصة التي تبدأ بوصف حالة هذه اللاجئة:

كحبل وريد..
قريب بعيد..
هنالك من خيمة نازحة
إلى جانب القرية النائحة
هنالك خلف القبور العراة
وبين المآسي، ولفح السراب،
بدت عائدة.

وبعد أن يرسم صورة لهذه الفتاة وقد أضناها الشقاء حيث تعيش تحت الخيام، يأخذ في صف ما يعتمل في نفسها من ثورة، تعبر عنها بتلك الأسئلة التي تفصح عن ألمها، وتعدد ما لحق بها وبأهلها من ضرر بأسلوب فيه رومانسية وفيه خطاب إلى الزمان.. وهذا التعميم يفقد الصورة تأثيرها:

إلام.. الشقاء..؟
لماذا تحاربني يا زمان..؟
أما فيك إشراقة أو حنان..
قتلت أبي، وأضعت أخي
وأبقيتني ذرة شاردة،
ألاقي الهوان
وأزحف فوق السنان

وتعصف بي زفرة عاتية

شرود، سقام، فتوق

وآهة قلب مشوق

وذل العقوق

وظلم الأمم.

ولو أن الشاعر قد وجه اللوم أو السخط على لسان الفتاة إلى الإنسان الذي ظلمهاوسلبها حق الحرية والكرامة، ولم يعمد إلى هذا التعميم- كما قلنا- ولا إلى الأوصاف المجردة، لرسم لنا صورة لنفسية هذه اللاجئة ولحالتها أكثر إيحاء وتأثيرا.

ثم إنه بعد أن صور حالتها وبؤسها في حاضرها، عاد إلى ماضيها وكيف كانت تعيش سعيدة في وطنها، تلهو مثل غيرها من أترابها في براءة وسذاجة:

لماذا أعيش..؟

وقد كنت آمره ناهية

كحلم بأزهاره الزاهية

أداعب في روضه كل لون

وأنشده كل لحن حبيب

غير أن حياتها الآن انقلبت بسبب ما طرأ عليها من أحداث بدلت هذه السعادة إلى شقاء:

وثار القدر
وقامت زوابعه الهائجة
تصارع أيامنا الهاجعة
وفتحت عيني.. فكان الظلام..
ولم أر غير الضباب الكثيف..
فما الداهية.؟
وما الضربة العاتية؟

والشاعر بعد هذا، يصور ما وقع لعائلة الفتاة التي تشردت، فقد استشهد أبوها، وقتل اليهود أخاها، وبقيت وحدها.. وتتجمع في نفسها دوافع الثأر والإنتقام من العدو الغاصب الذي أخذ أرضها وشردها وقتل أهلها، إذن فلابد أن تحارب فقد كبرت وأصبحت قادرة على الثأر.

ألا فاثأري يا فتاة العرب
أبي.. إنني للطلب

لذلك اللهب
كفاني السأم

وتمضي القصة فيأخذها اليهود أسيرة، إنها لا تتأوه فقد حققت حلمها ، والشاعر يختم القصيدة بالهجوم على أولئك الذين لا يفعلون مثلها ، فلا ينتقمون من أعدائهم الذين أخذوا أرضهم وديارهم.

ومهما يكن من أمر فإن الشعراء الجزائريين في مرحلة مابعد النكبة ، لم ييأسوا من عودة فلسطين، وقد رأينا نماذج من أشعارهم التي أظهرت أملهم وإيمانهم بفلسطين، وأظهرت تجاوبهم معها ومع أحداثها ، واتخذوا لإظهار عواطفهم والتعبير عن مشاعرهم أساليب مختلفة: البعض كان يتحدث في صوت جهير وفي أسلوب تقليدي تقريري.. أما البعض الآخر فقد عمد إلى شيء من التصوير والإيحاء.

ولاشك أن الجيل الأول - كما سبق أن ذكرت - كان تعبيره يتماشى وتأثره بالأساليب القديمة.. أما الجيل الجديد فقد حاول أن يجدد في أسلوب وشكل القصيدة.. ولكنهما يتفقان في النظرة ، يتفقان في الإيمان بعودة فلسطين ، ويدركان أبعاد هذه القضية ، القومية والإنسانية ، وفوق هذا يؤمنان بالنضال طريقا

لعودتها وتحريرها، ولعل هذا يتضح أكثر في المرحلة التالية بعد النكسة.

فلسطين في الشعر الجزائري بعد النكسة:

حين وقعت معركة يونيو 1967م، وخسرناها، كنا كمن لطم على وجهه بغتة دون أن يعمل حسابا لهذه اللطمة، وأعقب هذا الوضع فترة شعر فيها العرب باضطراب وتخلخل في شتى القيم التي آمنوا بها ورددوها طويلا.

ولقد أحس الشعراء والأدباء بالكارثة أكثر من غيرهم وأصبح الأديب العربي يعيش في حيرة مما وقع- بحكم إحساسه المرهف- وهزت الهزيمة وجدانه وعقله، فأصبح لايدري على وجه التحديد ماذا يقول وماذا يفعل، وعلى من يصب غضبه وسخطه، لمن يوجه اللوم والإتهام، وقد يتساءل أحيانا: وما جدوى ذلك كله؟؟

لم يكن يدري، هل يثور على نفسه أم يثور على الآخرين؟ هل يتكلم أم يصمت؟ هل الذي وقع شيء كان لابد له أن يقع.. أم أنه مصادفة من المصادفات التي لا نجد لها تعليلا أو تسويغا..؟؟

وكان لابد أن تتباين المواقف في مثل هذا الوضع، فمن الأدباء من زعزعت النكسة إيمانه فكفر بكل شيء وانطلق لاعنا ساخطا، ومنهم من استبد به اليأس فصمت صمتا بليغا

معبرا عن حالته وحالة المجتمع العربي المضطربة، وهناك من أخذ يتأمل ويدرس محاولا أن يخرج من النكسة بدرس أو عبرة، وهناك أخيرا من صهرته التجربة الجديدة فدفعته إلى مواكبة النضال والدفاع عن قيم الإنسان العربي وآماله في البقاء والحرية مهما حدث ومهما كانت الأسباب والظروف.

وبكلمة موجزة كان الأديب العربي في أزمة طاحنة.. وقد صدق "نجيب محفوظ" حين عبر عن ذلك بقوله: "هذه مرحلة في تاريخنا سوف تنتج فنا غريبا له خصائصه الفريدة التي سوف تعكس تفرد الفترة التاريخية التي نعيشها.. أنا لا أعرف كيف أكتب بالتحديد قصص ما بعد النكسة ولا أعرف بالضبط كيف ينبغي أن نكتب الآن. يمكن أن نبدأ بالهتاف، ففي موقف كهذا أصبح كل شيء واضحا، وتبخرت كل الأفكار الفلسفية والميتافيزيقية، وأنا أرى في ظروف كهذه أن كل من يريد أن يقول شيئا ينبغي أن يقوله بوضوح كامل محددا الهدف.."

قصدت من نقل هذه الفقرة كلها أن أدلل بها على موقف الأديب العربي بعد النكسة، ولاشك أن رأي "نجيب محفوظ" يمثل واقع الأديب ووضعه، كما يدل في نفس الوقت على اتجاه الأدب شعرا ونثرا في فترة مابعد النكسة، فإذا كان البعض في

الماضي ينادي بأدب تتوفر فيه سمات وخصائص معينة، وكم من معارك أدبية ثارت من أجل الشكل والأسلوب وطريقة الأداء- فإن هذه المرحلة لن تشهد مثل هذه المعارك، وإنما ستشهد معارك من لون آخر- معارك في الرأي ووضوحه، معارك تناقش الفكر وقيمه، أسباب الهزيمة ونتائجها، ظروفها وآثارها- وبالتالي سينعكس هذا كله على المستقبل، على مصير الأمة العربية كلها.

وقد كان ظهور المقاومة الفلسطينية، عاملا قويا ساعد على وضوح الرؤية بالنسبة للأديب- شاعرا أو قصاصا- وساعد المثقف العربي عامة على أن ينظر إلى المستقبل نظرة متفائلة.

ولم يشذ عن هذا أدباء الجزائر وشعراؤها، فقد فوجئوا بالكارثة وأحسوا بها إحساسا عنيفا، وهزت نفوسهم هزا بالغ القوة فسرت في قصائدهم روح جديدة شحنتها بقوة الإنفعال والثورة.. وفرق كبير مثلا بين أبيات "محمد العيد" قبل النكسة:

فلسطين العزيزة لا تراعـي	فعين الله راصدة تراعـي
وخلفك من بني عدنان جند	كثير العد يزأر كالسباع

فرق بين هذا الأسلوب الهادئ التقريري، وبين أسلوب "خمار" بعد النكسة الذي يؤكد بأن الهزيمة لن تؤثر على تصميم العرب على استرجاع فلسطين وعلى الإنتصار:

لن نرتضي عارا جديدا في فلسطين السليبه
لا.. لن يداس المسجد الأقصى وأردننا الحبيبه
وثرى دمشق، معاقل الأبطال، جبهتنا المهيبه
كالسيل نقتحم الجحيم، كتيبة تتلو كتيبه
ومن المحيط إلى الخليج.. دماؤنا حمم رهيبه
أرواحنا، إن لم نعش للنصر، ندفعها ضريبه

إنه الفرق بين القضية حين كانت باردة تحت ركام من الجليد، وبينها حين قامت المعركة في الشرق العربي وتفجرت الثورة في كل مكان.

فالشعراء الجزائريون خاضوا المعركة بأقلامهم دون يأس ودون فقدان في الأمل، وكانوا يحثون الشعب الجزائري على أن يخوض الحرب جنبا إلى جنب مع إخوته العرب.

وفي قصيدة "القسم" للشاعر "خمار" التي نقلنا منها المقطع السابق، يتجه إلى المعركة ويطلب منها المزيد.. يتحداها ويتحدى لهيبها ويدعو إلى حمل السلاح:

يا ساحة اللهب المقدس زلزلي دنيا بطاحي
واستلهمي ثاراتنا الحمراء من ساح لساحي
أنا هنا.. من غضبة "الأوراس"، من قمم الكفاح
من قبلة الشهداء.. من قلب الملاحم والجراح
يا شعبنا الجبار.. يازحفا تحرك كالرياح
ندعوك باسم ترابنا الغالي.. إلى حمل السلاح

ففي هذا المقطع - والمعركة كانت مشتعلة في نفوس العرب - نجد الشاعر يستثير الجماهير ويستثير حمية العرب في الجزائر ليحملوا السلاح ويستشهدوا في المعركة التي هي معركة العرب جميعا.. ويستخدم لذلك صورا تجيش بالعاطفة الجارفة والتعابير القوية.. وهو لا ينسى أن يتحدث عن الصهيونيين وعن تاريخ العرب وأمجادهم الماضية، فيستلهم هذا التاريخ ويدعونا إلى تأمله والإعتزاز به.. ثم يختتم القصيدة بهذا القسم:

قسما بنقمة شعبنا.. بالجيش يكتسح الخلودا
باللاجئات عيونهن.. الثأر يسألنا الصمودا
بالأرض، بالشهداء، بالأحرار.. لن ندع اليهودا
حتى ولو جاءتهم الأقدار تملؤها جنودا
قسما بعزتنا.. سندحرهم، سنمحقهم حشودا
وسنزرع الدنيا - كما كنا عمالقة - بنودا

فالشاعر في هذه القصيدة لا يقف مشدوها لما وقع بعد النكسة، ولا يستكين للواقع المر، بل يدعو إلى تغييره بشتى الوسائل وهو يقسم قسما جديدا مثلما فعل الشاعر "مفدي زكريا" في نشيد الثورة الجزائرية المعروف. لقد تغير القسم، وتغيرت معانيه، وتغير أسلوبه فلم يعد القسم هو التأكيد على المعاني الدينية أو الأخلاقية وإنما أصبح القسم بالنقمة، بالجيش، باللاجئات، بالأرض، بالشهداء.. الخ.

إن هذه المعاني الجديدة استحدثت في الشعر الجزائري بعد النكسة لأنها شيء جديد من حياة العرب، لم يحدث لهم في تاريخهم القديم والحديث.. ومن ثمة لابد أن تتغير المعاني والصيغ أيضا.

وإحساس الشاعر الملتهب المتفجر حماسا هو الذي دفعه إلى هذا التحدي العنيد، حتى الأقدار التي قد تتعاون مع العدو على

إخضاع العرب، يتحداها ويقسم بأن أعلام العرب سترتفع مثلما ارتفعت في الماضي.

وتزداد نبرة "خمار" علوا أثناء معارك يونيو 1967م، فيدوي صوت الشعر ليتجاوب مع صوت المدفع، وتتوالى كلماته أشبه ما تكون بالطلقات المدوية في سرعة متتابعة في قصيدته "الإنفجار" وعنوانها يوحي بمضمونها:

تفجر شعبي.. هنا القاهرة..
هجمنا، إلى الموت يا غادرة
هنا الشام.. في كل شهر جحيم
هنا.. من جزائرنا الثائرة
هنا القدس.. يا أمتي رددي:
هنا تل أبيب هنا الناصرة
زحفنا.. زحفنا.. فلا مدفع
يرد خطانا.. ولا طائرة

وفي هذه الفترة ظهرت شعارات عديدة تحمل معاني الكفاح وخوض المعركة، وتدعو إلى النصرة أو الإستشهاد، وعبر عن هذا، الشعراء في قصائد مختلفة.

"فعمر البرناوي" مثل غيره يدعو إلى استمرار المعركة وإشعال نار الحرب لأنه لا خيار للعرب.

أشعلوها.. ليس في الصبر بقية أشعلوها من دمانا العربية
تلك إسرائيل.. عار البشرية اسحقوها أو لنا الذل سجية
صيحة للحق دوت فاستعدوا بالرصاص الحانق المجنون ردوا
غضبة العرب جحيم لا يسد فادخلوا الحرب أو القبر أعدوا

وفكرة استخدام القوة والإيمان بها أصبحت عقيدة راسخة في نفوس الشعراء الذين يعكسون إيمان الشعب الجزائري بها، فهو قد جرب شتى الوسائل في المطالبة بحقوقه ولكنها لم تفده شيئا، فلجأ إلى السلاح لأنه الأسلوب الوحيد الذي يفيد مع الإستعمار.. وقد عبر عن هذا شعراء تقليديون، أو شبان جدد بشعر جديد كما رأينا.

فالشاعر "أحمد بن ذياب" وهو شاعر تقليدي، يركز على فكرة القوة ويدعو في صراحة إلى استخدام الوسائل العصرية الحديثة:

أيها العرب والعروبة دار وإخاء مقدس الآصار
زعزعوا الأرض واملأوا الجو رعبا وارجموهم بالشهب بالأقمار

بالصواريخ، بالقذائف تهوى من عليهم كالوابل المدرار

وبعض الشعراء لم يكتفوا بالحديث عن حاضر قضية فلسطين التي هي سبب ما حدث للعرب بعد نكسة يونيو، وإنما رجع إلى الماضي يصور المؤامرة من بدايتها ويعيدها إلى الأذهان، ويربط بينها وبين الواقع اليوم محاولا بذلك أن يجسم صورة النكبة ليدفع الناس إلى الوعي بأبعادها ماضيا وحاضرا، وهذا ما فعله الشاعر "صالح خباشة" حيث يبدأ من لحظة التقسيم:

قسموا فلسطين الأبية واستباحوا المقدسا
نهبوا الديار وخربوها فوق أشلاء النسا
.. كم من وليد مستغيث ألقموه مسدسا
كم من مصون العرض أصبح بالطغام مدنسا

ولا ينسى الشاعر وقت النكبة ودور الإستعمار فيها، وقد ساعده على تحقيق أغراضه عملاؤه، بالأسلحة الفاسدة والخيانات الظاهرة وغير ذلك مما أدى إلى كارثة.

خضنا وإبنا بالهزيمة، إنها محن العرب
وشبابنا في كل قطر ثائرون على لهب

زحفوا إلى الوطن المقدس كالمحيط إذا اضطرب
زحفوا إلى "صفد" إلى "حيفا" "ويافا" "والنقب"
حملوا السلاح فسددوه ودغدغوه فما ضرب
ولقد يطيع فلا يجد سوى لحامله العطب
وتبينوا بعض البنادق: كل ما فيها خشب

والسلاح الفاسد مثله مثل الخيانة السافرة.. والخيانة هي أحد أسباب ما عانى منه العرب قبل النكسة وما يعانون منه الآن.. ولذا يركز عليها الشاعر ثم يقول بأنه لكي تتحرر البلاد العربية لابد من ثورة دائمة:

لولا الخيانة ما استقرت للغزاة هنا جذور
فلترجموهم أينما كانوا إلى يوم النشور

ويضيف الشاعر "الأخضر عبد القادر السائحي"، سببا آخر إلى ما ذكره "خباشة"، وهو أن الإستعمار الغربي يشكل عنصرا قويا في ضياع فلسطين ويشهر به هذا الأسلوب الساخر:

والدماء..؟
أنسيت..؟

بل متى أنت وعيت..؟

أنت يا "غرب الرخاء"

أبدا لست ترانا

نحن- في الشرق- غثاء

هكذا.. أنت ترانا..

ويستمر في وصف ما يلاقيه الشعب الفلسطيني بعد نكسة 5 يونيو في أسلوب بسيط ليس فيه تهويل أو مبالغة.

وعندما ظهرت (فتح) كبادرة أمل وسط ركام الأحداث وتفجرت كضوء بعد الظلام الذي ران على واقع العرب بعد 1967م، تجاوب معها الشعراء الجزائريون وأشادوا بها واعتبروها الحقيقة التي على العرب أن يساندوها ويشدوا من أزرها لأنها الأمل في النصر.

فالشاعر "خمار" في قصيدته "من أناشيد العاصفة" يناقش الأمة العربية ويذكرها في يأسها وتشاؤمها بأن "فتح" تمثل الملاذ من هذه الحيرة التي استبدت بالنفوس.

يا أمتي.. لا تسألي لاهفة

واقفة.. حائرة.. واجفة

متى نعود إلى مرابعنا

إلى ظلال كرومنا الوارفة؟

إنه يعبر حقا عن لهفة العرب بعد النكسة، وعن الأسئلة الكثيرة التي كانت تدور في الرؤوس، أسئلة عن المصير.. عن المستقبل.. عن سير الأحداث.. عن أسباب النكسة.. عن الخروج منها، ولكن الشاعر يدير رؤوسنا إلى الجواب الصحيح:

لا تسألينا، إننا عندها
طلائع "الفتح" بها زاحفة
أخرجنا من أرضنا عاصف
ولن نعود لها سوى "عاصفة"

فظهور "فتح" في أفق الثورة الفلسطينية، قد أعطى الأمل في استمرار المعركة، وأتاح للشعراء أن يشيدوا بها وبنضالها، وترددت كثيرا في قصائد الشعراء الجزائريين أسماء لبلدان وأماكن في فلسطين "كحيفا" "ويافا" و"الجليل" وغيرها، وأصبح الشعراء يتحدثون عن كل جزء من فلسطين بروح الواثق من نصرها وعودتها:

يافا وحيفا والخليل لنا،

والقدس .. لا للأرجل الخائفة

قسما.. سنرفع رأس أمتنا

ونعيد مجد عهودنا السالفة

وندك إسرائيل.. يا لمصيرها

من ثورتي.. من نقمتي الجارفة

وليس "خمار" وحده هو الذي أشاد "بفتح" في الشعر الجديد الذي بدأ يأخذ مكانا بارزا - بعد النكسة- في الشعر الجزائري المعاصر، فهناك شاعر آخر وهو "أبو الياس" في قصيدته "اللاجئ" التي يرسلها نداء يحث فيه على النضال وعلى متابعة طريق "فتح".. طريق الدم والتضحية والبارود طريق النصر، فهو يخاطب فيه العربي، الفرد الصديق الذي لا يتنكر للكفاح:

يا صديقي

أشرقت "فتح" ونادت للكفاح

لا ترد الأرض إلا بالسلاح

يا صديقي:

قد تبينت طريقي

واضحا يمتد للنصر المتاح

والشاعر في القصيدة لا يتحدث عن فلسطين كأجنبي، أو كإنسان ينظر إليها من بعيد يشارك بوجدانه وعواطفه، وإنما يتحدث عن فلسطين كواحد من أبنائها، يذكر أنها أرضه وأن صرخة "فتح" صرخته: لأن المعركة للجميع:

هاهنا عبر الردى في أرضنا، عبر الجراح
يا صديقي، هاهنا في أرضنا، أرض الكفاح
في قراها، في رباها الخضر، في كل البطاح
صرخت "فتح" فهبت بالسلاح

ويخاطب صديقه، يخاطب أخاه العربي الذي يؤمن مثله بهذا الطريق الصعب الدامي الذي يؤدي إلى النصر:

يا صديقي
كن رفيقي
في طريق العاصفة
يا رفيقي
آخر الليل صباح

ثم بعد هذه البداية للشاعر - التي يؤكد فيها أنه عثر على انطريق الصحيح - يهاجم الشعراء الذين لم يتبينوا هذا الطريق، والذين يلهون ويلعبون وقد غرقوا في الحب والغزل، ولا يعرفون أن هذا العهد قد ولى وحل عهد التغني بالجراح لا بالملاح:

قالها "محمود" هلا
يستحي كل "نزار" سبح الحب بفيه
لورود في الملاح
مسخطا منتقديه
إن عهد الحب ولى، وأعتى عهد الكفاح
مااستحق الخلد إلا من تغنى بالجراح

ولا شك أن التغني بالحب والغزل في ظرف كاد العرب أن يفقدوا فيه كل شيء، يصبح نغمة نشازا في حياتهم وواقعهم المؤلم، ولا يعني هذا أن الشعراء تنكروا للحب أو كفروا به، فالحب عاطفة إنسانية لا تموت في الإنسان أو تلغى حتى في الحرب.. إن حب الإنسان للأرض والوطن الذي ولد فوقه هو الذي يدفعه إلى التضحية من أجله بنفسه وبحياته، أما الغزل والإغراق في أحاديث الحب والغرام في وقت يموت فيه الناس من أجل أهداف سامية فهو ضرب من الخيانة في رأي الشاعر.

والمعروف أن هذا الشاعر من أكثر الشعراء الجزائريين حديثا عن الحب، فلقد غنى له طويلا وعبر عن تجاربه مع المرأة في قصائد كثيرة، ولاعجب في ذلك فهو إنسان قبل كل شيء له عواطفه الخاصة ومشاعره كإنسان وكفنان، ولكنه لا يرى في الغزل كل شيء في الحياة، فالحياة فيها أشياء أخرى تستحق التغني بها.. وهذا يوضح لنا كيف أن الواقع يؤثر على الفنان وعلى رؤيته للأشياء وتعبيره عنها، والشاعر الأصيل هو الذي يتطور في معالجته لأحاسيسه الذاتية، وفي نفس الوقت يستجيب للأحداث التي يمر بها وطنه أو قومه أو ما يعرض للإنسان الذي يرتبط به برباط الدم أو القومية أو المبدأ أو الشعور الإنساني العام.

وإذا كنا قد ألمحنا إلى أن الشعراء الجزائريين- بعد النكسة- قد تشبثوا بفلسطين أكثر من ذي قبل وعبروا عن إيمانهم بها وبانتصارها وعودتها، فإنه لم يشذ عن ذلك من كتب بلغة أجنبية مثل "مالك حداد" الذي تحدث عن فلسطين في قصيدته الطويلة "فلسطين داري" التي يؤكد فيها إيمانه بأن فلسطين هي أرضه وداره ويتحدث عنها مثل الشاعر السابق وكأنه فرد من فلسطين، وحدة الدم والمصير تربط بين الجميع:

ولكنني هناك في داري

في داري في فلسطين

والإهانة في داري

الغراب نفسه

الذي أهان سمائي البارحة في قسنطينة

وسخر من حينا ،

وسخر من قبورنا

ولكنني هناك في داري، في فلسطين.

"فمالك حداد" هنا يربط بين الجزائر وفلسطين، وبأن ما حاق بالجزائر قديما هو ما حل بفلسطين اليوم، فالإهانة واحدة هنا أو هناك.

وهو يرمز للدخيل بهذا الغراب الذي عكر حياة الناس في فلسطين مثلما فعل في الجزائر، ولكن هذا الأجنبي، هذا المستعمر الذي سخر من الحي والقبور وبكل ما هو عربي لن يستطيع أن يمنع الشاعر من أن يكافحه من أجل الوطن.. من أجل هذه الدار التي ولد وعاش فيها.

والشاعر بعد هذا يعلل لماذا هو في داره، فهو لا يلقي الكلام هكذا حماسيا عاطفيا، ولكن أحيانا لا يكون التعليل بالأدلة المنطقية بل يكون المنطق هنا هو الواقع:

في داري لأني عربي

عربي حتى الموت

عربي في العيون

عربي في صدري

هذا هو السبب إذن في أن فلسطين داره، لأنه عربي حتى الموت كما يقول، ولقد حاول الإستعمار أن يجرد الجزائري من عروبته، ولكنه لم يفلح، لأنه عربي، في دمائه، في عيونه، وحتى قلبه عربي يختلف عن قلب الأجنبي.

والواقع أن هذه الصورة التي رسمها لنا "حداد" ليدلل بها على عروبته وعروبة فلسطين صورة بسيطة ولكنها معبرة تماما، فهو لم يعمد إلى التضخيم والضجيج ليثبت أنه عربي، وإنما ساق الكلمات في عفوية رائعة، وهو يعدد مظاهر هذه العروبة، إنها ليست فقط في العيون والقلوب، بل هي أيضا في النشيد.. في قوله للشعر، في الطيور.. في الغابة.. في الخبز.. وكذلك في "العاصفة" التي قامت لتحرير فلسطين:

عربي نشيدي

عربي طائر النورس

عربية الغابة عندما تلمع فيها ديدان الربيع

عربي الخبز الطيب، عربية "العاصفة"
عربي هذا الفجر على حدود الليل
لأن الإهانة في داري.. في تلك الزاوية من الكون
تلك الزاوية من بيتي الذي ألقى بي إلى الشارع
سأرجع إلى داري على عودة الفجر
سأرجع إلى داري بعد شتاءات طويلة..

فهو يلقي بالحكم هكذا ببساطة.. سيرجع إلى داره، لأنها داره وليس هناك ما يمنعه من الرجوع إليها ، فهناك أرضه ووطنه الذي اغتصب، وسماؤه التي ظهرت فيها نجمة دخيلة، "نجمة إسرائيل" واحتلت غزة، وعكرت صفوها.. وإن العَلَم يترقب نسجه من جديد ليرفع في سماء غزة بدل العلم الدخيل:

طريق الفجر طويل جدا
السماء المغتصبة، فيها نجمة دخيلة..
غزة روحي حيث الغزالة
تنتظر ضوء القمر في الحديقة المحررة
عندما الأغنية تكون غريبة عن دارها
فإن علمي الموحد ينتظر النسيج

ويتضح لنا من البيت الأخير أن تحرير فلسطين طريق للوحدة العربية في رأي الشاعر.

ولم يخل المكان من إسهام المرأة في هذا المجال، فقد شاركت الشاعرة الناشئة "مبروكة بوساحة" بقصائد تعبر فيها عن إيمانها بفلسطين وتتفاءل بعودتها:

يا فلسطين بلادي
يا فلسطين الحبيبة
إن أيام التلاقي
أصبحت جد قريبة
لن تعودي مثلما كنت
فلسطين السليبة

ومثلها الشاعر "خالد بن يطو"، وغيرهما كثيرون ممن هزتهم النكسة ولا يتسع المجال للتعرض لهم جميعا.

ونلاحظ في النهاية أن موضوع اللاجئين قد هز الشعراء بعد هذه النكسة ولكنهم لم يركزوا عليه كثيرا مثلما فعلوا بعد النكبة سنة 1948م، ذلك أن البكاء أصبح لا يجدي، وأن استدرار العطف لا يحرر هؤلاء مما هم فيه من بؤس وشقاء وتشرد، إنما ينقذهم صوت البارود والمدفع، ومن هنا وجدنا تلك

الصرخات المدوية التي تشيد بالكفاح وبالعاصفة، لأنها الطريق الحقيقي للعودة.

وقد تجلى ذلك بوضوح في قصائد الجيل الجديد من الشعراء الذين اعتمدوا أكثر على شعر "التفعيلة"، هذا الجيل الذي عاش التطورات الدامية للقضية الفلسطينية وهز وجدانهم ما لحق الشعب العربي الفلسطيني من دمار وتمزق حتى إن أحدهم وهو الشاعر عبد العالي رزاقي قد خصص مؤخرا ديوانا كاملا من شعره لفلسطين، وكان قد سبق له أن عالج القضية في ديوانه السابق من مثل قوله:

نحن من أعماق تاريخ سحيق لا يباد
نحن من أحشاء ذات الصمت قمنا
وعلى الأبواب كالصخر وقفنا
لنشد اليد في أيدي العباد
ومع الزوبعة الهوجاء "إنا عائدون"
وغبي من يظن النار لا تبعث شعبا من متاهات القرون

والمقطع يوحي بعودة الفلسطينيين إلى وطنهم السليب، وفيه تحد وإيمان بأن الثورة هي التي ستعيد الحق إلى أصحابه والحرية لمن حرموا منها.

ونضرب مثالا بشاعر آخر هو أحمد حمدي، ففي إحدى قصائده يقول بعد هزيمة 67 معلنا أن الشعب العربي لم يهزم:

أنا مازلت

كما كنت

رياحا ورعودا قاصفة

وتعيش القضية في وجدان الشاعر فيعبر عنها في قصيدته "القدس" وهو في بدايتها يتألم لواقع الشعب الفلسطيني ويهاجم الصهاينة ومن يؤيدهم، ثم في آخرها يحذر من تسول له نفسه انتهاك حرمة القدس فيقول على لسانها:

ولكن...

إنني لهب

حذار... حذار

وفي بقية من جذوة العرب

حذار حذار

وأظن أن الصورة لا تكتمل لموقف الشعراء من قضية فلسطين دون التعرض لشعراء "الملحون" أي الشعراء الشعبيين

الذين أسهموا- حقا- بشعرهم خاصة بعد النكسة في توعية الجماهير الجزائرية، بما ألقوا في الإذاعة ونشروا في الصحف من قصائد شعبية حماسية.

فالشاعر "محمد بوكرموش" يحث المقاتلين على الجهاد:

وينكم يا أبطال العروبة — وينكم يا أهل النضال
فلسطين لنا محبوبة — راها تنادي للقتال
ما يخوفنا حتى شيطان — لو كان معاه "الماريكان"
احنا من بكرى شجعان — ماانخفوش من القتال

وهو يلح على وحدة الصف وعلى التعاون مع "العاصفة" التي ستحقق النصر:

وتكونوا معتصمين بحبل الرحمان — ونصير خاوة جميلة لبنيان الدار
ونوحد صفوفنا مثل الفرسان — وندرب المطايا تسرع في المشوار
ذاك الوقت نتقدموا للميدان — ويكون النصر حليفنا يفتح الأقطار
و"العاصفة" زاحفة تفتح البلدان — تبتسم بيت المقدس وتشرق أنوار

فهذه الصور البدوية التي نلمحها في هذا الشعر، إنما هي صور مستمدة من بيئته، فهو لا يتكلفها أو يجري وراء صور

جديدة، ولا يعني هذا أن الشاعر الشعبي لا يعي هذه القضية سياسيا، بل العكس هو الصحيح.

فالشاعر "الطاهر رحاب" يناقش هذه القضية من جوانب عديدة فيتحدث عن الضمير الإنساني الذي تخدر ونام عما يجري في فلسطين، ويبدأ بهذا التساؤل الملفت:

بالصح كاين شي يسموه الضمير　　　وين هو موجود قولولي نصفاه

فهو يشك في هذا الضمير ووجوده ويبحث عنه، إذ لو وجد لما وقع لفلسطين ما وقع، إنه يسخر من أولئك الذين يتحدثون عنه وهم يشاهدون الشرق العربي يئن تحت الإحتلال ويتفرجون على شعب طرد من أرضه واحتلها غاصب أجنبي:

في الشرق العربي الموقف خطير　　　شعب كامل شـــردوا رجالــه ونساه
جابوا الأفاقين قالوا هذوا خير　　　العربي يخرج والصهيوني يدى سكناه
والعالم يشوف بعيون الحقيـر　　　شعب مشرد مهتـــش باللي عانـــاه

ثم يتساءل في الأخير كما فعل في البداية، يتساءل عن نهاية هذا العالم الذي يرى الظلم ولا يحرك ساكنا، يتساءل عن

مصير هذا العالم الذي يرى العرب طردوا من ديارهم ويتفرج عليهم.

وللشاعر قصائد كثيرة عن فلسطين تتناول جوانب مختلفة للقضية مثل كثير من شعراء "الملحون" الذين عبروا في إنتاجهم الغزير، مادة وتجربة ومضمونا، عن عواطف الشعب وأحاسيسه وأسهموا بدورهم في توعية الجماهير وتعبئتها للمعركة.

والواقع أن شعرا كهذا يحتاج إلى دراسة خاصة، وإنما ضربنا بعض الأمثلة لنؤكد أن الشعراء الجزائريين- سواء من عبر بالفصحى أو بالعامية- قد حركت وجدانهم قضية فلسطين فعبروا عنها بشعر غزير يختلف من جيل إلى آخر ومن مرحلة إلى أخرى، تجربة وأسلوبا وشكلا زمضمونا، قوة وضعفا.

.. وبعد هذه النظرة نستطيع أن نسجل أن الشاعر الجزائري قد ساير مراحل القضية الفلسطينية منذ ظهرت على مسرح السياسة العربية والعالمية وعاش تطوراتها سواء قبل النكبة أوبعدها وحتى اليوم.

الفصل الثاني:

فلسطين في النثر الجزائري الحديث

قدم هذا البحث في مؤتمر الأدباء العرب العاشر الذي انعقد بالجزائر في أفريل 1975م.



تمهيد:

الدارس للأدب الجزائري الحديث يلاحظ ظاهرة متميزة في كتابات الجزائريين شعرا ونثرا، وهي الإنطلاق من الواقع الوطني إلى الواقع العربي، من رؤية محلية إلى رؤية عربية شاملة، بحيث يندر أن نجد قصيدة تتحدث عن قضية وطنية وتركز عليها وحدها، دون الربط بينها وبين القضايا العربية الأخرى.

ولا عجب في ذلك، فالجزائر رغم الستار الحديدي الذي ضربه حولها الإستعمار الفرنسي نتذ الإحتلال حتى الإستقلال لم تنفصل عن الوطن العربي، ووقف الشعب الجزائري وأدباؤه ضد سياسة العزل والتفرقة بنفس القوة التي رفضوا بها سياسة الإندماج في الجنسية الأجنبية، ومن هنا نشأ ذلك التعاطف بل ذلك الترابط الوثيق بين الوطن وبين العروبة بين الوطنية والقومية، بين الجزائر والعالم العربي، الأمر الذي يفسر تعلق الجزائريين بالشرق وبالأمة العربية، كما يفسر الإهتمام بقضية فلسطين بوجه خاص، بحيث لا نغالي حين نقول إن الإنتاج الأدبي الجزائري، شعرا ونثرا في هذا القرن دار حول محاور ثلاثة:

"الوطنية والعروبة، والوحدة العربية، وفلسطين".

فما من قضية عربية إلا رأينا صداها في أقلام الجزائريين وكتاباتهم، وما من كارثة وقعت في الوطن العربي إلا وانفعل بها الأدباء الجزائريون، وما من نصر تحقق في جزء من الأمة العربية إلا وسارعوا إلى التعبير عنه فرحا وحبورا.

ولا داعي لأن نعيد إلى الأذهان الدوافع التي حركت الأدباء الجزائريين لأن يتجاوبوا مع الوطن العربي، فهي الدوافع نفسها التي حركت أقلام الأدباء العرب الأشقاء حين ثار الشعب الجزائري في فاتح نوفمبر 1954م.

ولكن الظاهرة التي تلفت انتباه الدارس هي أن الأدباء الجزائريين لم يعنوا بقضية فلسطين فحسب، ولكنهم تفطنوا منذ وقت مبكر إلى المؤامرة عليها، وأعني بالأدباء هنا، كتاب النثر على وجه الخصوص.

صحيح أن الشعراء عبروا عن هذه القضية حين ظهرت على المسرح العالمي منذ العشرينات، وتابعوها في مراحلها المختلفة منذ إعلان "وعد بلفور" عام 1917م، مرورا بانتفاضات الشعب الفلسطيني في الثلاثينات، ثم رفضه لقرار التقسيم، ووقوفا إلى جانب فلسطين والعرب أثناء حرب 1948م، حتى نكسة

1967م، ثم تجاوبا مع انتصارات الثوار الفلسطينيين وأبطال المقاومة بعد ذلك، غير أن الشعر إذا كان أقدر على تصوير هذه القضية والتعبير عنها فنيا بحيث استطاع الشعراء أن يحركوا المشاعر والأحاسيس القومية والدينية في هذه القضية وأن يكتفوا بالملامح العامة شأن الشعر في التعبير عن الكل والعام، فإن الكتاب قد تفطنوا لخطر الصهيونية قبل هذا الوقت، وساعدهم النثر على توضيح حقيقة الصهيونية من جهة وتعميق أحداث وواقع القضية من جهة ثانية، ثم بيان دور الإستعمار الغربي في التآمر على فلسطين والعرب من جهة ثالثة.

ومرة أخرى أقول أنني لست في حاجة إلى أن أعدد الروابط التي تربط بين فلسطين والجزائر منذ فجر التاريخ العربي، كما أنه لا حاجة بنا إلى أن نقارن بين واقع فلسطين بعد أن تآمر عليها الإستعمار والصهيونية العالمية، وبين الجزائر تحت الإحتلال الفرنسي، فكلا البلدين عرف الإستعمار الإستيطاني، وذاق الإرهاب بشتى صوره وأشكاله، وتعرض لمحاولات القضاء على مقوماته الأصيلة من لغة ودين وتاريخ وحضارة، بل عرف أخطر من هذا، محاولة إلغاء كيانه ومحوه من الوجود، وهذا هو ما يفسر أيضا اهتمام الكتاب والشعراء بنكبة فلسطين، فهو إحساس حاد عنيف ضد الإستعمار والتسلط والغزو الأجنبي.

ولعل هذا الشعور العميق بهذه المأساة التي حدثت في فلسطين انطلاقا من واقع مشابه في الماضي، هو الذي جعل الشعب الجزائري منذ عشرات السنين لا ينسى الجرح الذي تركته هذه القضية في نفوس أبنائه، وكان الشعراء والكتاب ألسنة هذا الشعب المعبرين عن أفكاره وعواطفه، لكن هناك عوامل أخرى غير ما ذكرنا أسهمت في تعميق هذا الإحساس بالنكبة وضاعفت من الإهتمام بها، وفي مقدمتها احتكاك الجزائريين باليهود منذ قرون طويلة، مما أتاح لهم فرصة فهم نفسيتهم جيدا، وإدراك أخلاقهم التي تتناقص تماما مع أخلاق الجزائريين والعرب عامة، فالمعروف عن اليهود في الجزائر وقت الإحتلال أنهم استحلوا كل مباح واستخدموا كافة السبل من أجل انحصول على المال.

وقد كان الربا مثلا إحدى وسائلهم للربح وهو ما رفضه الشعب الجزائري بوازع الدين أو الأخلاق الإنسانية عامة.

يضاف إلى ذلك عامل السياسة، فقد لعب أفراد منهم دورا بارزا في الحياة السياسية بالجزائر عن طريق الإقتصاد منذ القرن الثامن عشر، خاصة حين تولى الحكم أحد الدايات الأتراك وهو مصطفى باشا الذي كان جاهلا ساذجا فأطلق العنان لأحد تجار اليهود المعروفين بحيث أصبح هو الحاكم

الفعلي للبلاد، الأمر الذي أدى إلى ثورة الجزائريين سنة 1805م، على هذا الوضع بقيادة المجاهد "يحي" الذي قضى على هذا اليهودي.

على أن نفوذ اليهود تعاظم بعد ذلك حين أصبح اليهوديان "بكري وبوشناق" يتمتعان بمكانة مرموقة لدى الباشوات، حتى أن بوشناق كان "يستقبل قناصل الدول باسم الباشا [1] وهذه المكانة التي تمتع بها هذان الرجلان ترجع إلى سيطرتهما على التجارة بين الجزائر وفرنسا، بحيث أصبحا واسطة بين الدولتين قبل الإحتلال، بل إنهما كانا يقومان بالسمسرة مباشرة".

ويذكر بعض الرحالة الذين عاصروا الإحتلال مثل "سيمون بفايفر" أن الإنكشاريين اتهموا اليهود بالتواطؤ مع جيش الإحتلال الفرنسي "ولم يزودوه بالمواد الغذائية فحسب بل أنهم دلوه أيضا على جميع الطرق التي تسهل له الصعود إلى الجبال" [2].

---

[1] تاريخ الجزائر الحديث. د. سعد الله، ص 12 معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة 1970م.

[2] انظر: مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر "سيمون بفايفر" ترجمة د. أبو العيد دودو. ص 98 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1974م.

ولكي ندرك شعور الجزائريين منذ ذلك التاريخ تجاه اليهود ، لابد أن نسجل ما قاله هذا الرحالة الألماني الذي شاهد بنفسه دور اليهود في مساعدة الإستعمار الفرنسي، وتنكرهم للجزائريين الذين أتاحوا لهم العيش في أمن وسلام، بل أتاحوا لهم الإستقرار والإطمئنان، فيذكر هذا الرحالة بأن السلب الذي تعرض له الجزائريون في بداية الإحتلال، أسهم فيه حتى المترجمون من اليهود ، ويقول النص:

".. وهم في الغالب من اليهود الذين كانوا يرتدون الزي العسكري الفرنسي فدنسوه بشكل مثير للغضب فقد ذهب مثلا يهودي من تونس إلى المراعي عدة مرات وساق بنفسه مئات من الأغنام ليبيعها في المدينة إلى أمثاله وكذلك كان يفعل بالخيول والبغال، وقد حدث ذلك في الأيام الأولى التي عمت فيها الفوضى وكان الأهالي يختفون بمجرد رؤية الزي الفرنسي"[1].

وهناك وقائع كثيرة يسوقها هذا الرحالة الأجنبي تبين موقف اليهود تجاه الجزائريين وتنكرهم لهم بمجرد أن بدأ الغزو ، فاستغلوا الظروف والفوضى التي سادت لينهبوا ويسلبوا، ولم يتورعوا حتى نهب النساء، كأن يرمي أحدهم كمية من الأسلحة بفناء دار تملكها سيدة جزائرية ليتهمها بإخفاء السلاح

[1] المصدر السابق، ص: 107

والتآمر على السلطة بعد أن يلبس بزة عسكرية مع جماعة معه ويخيرها بين دفع أربعين ألف دينار أو كشف أمرها للسلطة الفرنسية [1].

هذه الوقائع وغيرها هي التي نبهت الجزائريين إلى أخلاق اليهود وسلوكهم، بل إن موقفهم- أي اليهود- اتضح أكثر حين ساندتهم الإدارة الإستعمارية وميزتهم عن الجزائريبن منذ بداية الإحتلال، الأمر الذي جعلهم يظهرون عداوتهم السافرة للجزائريين ويتآمرون ضدهم ويعتدون عليهم في وضح النهار، يقول هذا الرحالة كذلك:

".. وما إن رأى اليهود أن الفرنسيين يفضلونهم على أبناء البلاد حتى ركبوا رؤوسهم وتظاهروا بالشجاعة واتسمت تصرفاتهم بالجرأة والوقاحة، فكانوا يعتدون على المسلمين لا سيما الأطفال منهم حين يلتقون بهم في طريقهم، ويسيئون معاملتهم بصورة فظيعة" [2]

وقد منحت السلطات الإستعمارية لليهود بعد الإحتلال مباشرة امتيازات كبيرة في الإدارة وفي الإقتصاد والتجارة، وأصبح لهم دور بارز في الحياة السياسية والإقتصادية في

---

[1] المصدر السابق، ص: 107

[2] المصدر السابق، ص: 109

الجزائر، ولكن خطرهم بلغ الذروة بعد قرار كريمو 1870م، الذي جعل من اليهود فرنسيين دفعة واحدة، وقد أدى هذا القرار إلى سخط الجزائريين لأنه يعطي اليهود ما للفرنسيين من حقوق، وبالتالي مالهم من تفوق وامتياز، بينما يجعل من الجزائريين مواطنين من الدرجة الثالثة.

بل إن هذا القرار أثار غيظ الفرنسيين أنفسهم. فالمعروف أن الفرنسي عامة يتعصب لوطنه وجنسه وقوميته ولا ينظر للأجنبي المتجنس بالفرنسية نظرة احترام، كما أن القرار المذكور أدى إلى ظهور جالية كبيرة من الأوروبيين الأجانب في الجزائر، مما جعل بعض الباحثين يرى أن ثورة المقراني 1871م، كان من أسبابها إن لم يكن سببها الرئيسي قرار كريمو هذا [1].

ويسجل هذا رحالة آخر هو "بيرم الخامس التونسي" الذي زار الجزائر في أواخر السبعينات من القرن الماضي بهذه العبارة:

"وترى اليهود أحرز للحرية في معاملة الفرنسيين وخطابهم من المسلمين" [2].

---

[1] كتاب الجزائر، أحمد توفيق المدني، ص: 62/61ط، 2- دار المعارف 1963م.

[2] صفوة الإعتبار لمستودع الأمصار والأقطار- محمد بيرم الخامس التونسي ج.4 ص:14- المطبعة الإسلامية بالقاهرة 1884م.

هذه هي الأرضية التي مهدت للكتاب بأن ينطلقوا من هذا الماضي وهذه الوقائع، فينبهوا إلى خطر اليهود وإلى أهدافهم، عن تجربة وإدراك بقضية فلسطين والخوف عليها من أطماع الصهيونية، وخاصة حين أخذ اليهود في الجزائر في العشرينات يجندون أنفسهم في جمعيات تدافع عن مصالحهم[1].

ومع هذا كله، فإن الجزائريين لم يعادوا اليهود ولم تظهر بينهم تلك الدعوة التي ترفض السامية، ولم ينطلق كتابهم من عاطفة وطنية أو قومية أو دينية، بل أن دعوة "للاسامية" انتشرت بين الفرنسيين منذ القرن الماضي، بحيث ظهر تيار في الصحافة الفرنسية يهاجم اليهود ويستعدي عليهم السلطة، وقد تزعم هذه الحركة المعمرون الفرنسيون "الكولون" فغذوا العداوة ضد اليهود بصورة عنيفة، وبرز من بين هؤلاء المعمرين "ماكس ريجي" رئيس بلدية الجزائر أواخر التسعينات من القرن الماضي[2].

ولقد فرح الفرنسيون حين ألغي "مرسوم كريمو" بعد الحرب العالمية الثانية، "فهزتهم النشوة العنصرية"، وحتى أولئك

---

[1] جريدة التقدم- الجزائر- 1 نوفمبر 1923م.

[2] انظر "ليل الإستعمار" فرحات عباس ص: 94، ترجمة أبو بكر رحال، مطبعة فضالة بالمغرب.

النواب أمثال "مورينو وغيره الذين لم يتبوأوا مقاعد النيابة إلا بفضل الناخبين اليهود فحبذوا لهذا الإلغاء وصفقوا...." [1]

وقد كتب مورينو هذا قائلا: إن "اضطرابات سنة 1896م، المناوئة لليهود ما كان سببها إلا مرسوم كريمو ومطالبتنا بإلغائه، واليوم ها نحن بلغنا هدفنا، نعم فقد ألغي هذا المرسوم المشؤوم، وعاد اليهودي إلى منصبه، هو منصب الأهلي "الأنريجان" الجزائري الذي لم يكن ليخرج منه، وما أخرجه منه إلا "خرق" [2] قانون سافر اقترفه اليهودي "كريمو". [3]

لذلك نشأت صحف فرنسية في الجزائر تندد باليهود وتشن عليهم حربا سافرة وتطالب باضطهادهم [4].

هذا هو المناخ الذي ساد الجزائر في القرن الماضي، مناخ عنصري متعصب أحدثه الفرنسيون اليهود والأجانب الأوربيون،

---

[1] المصدر السابق، ص 165- 166.

[2] هكذا في النص المترجم والمعنى قد يضطرب بسبب الترجمة الحرفية غير الدقيقة أحيانا كما هو الملاحظ في هذا النص وفي السابق عليه- 10- المصدر السابق 166.

[3] يذكر محمد ناصر في اطروحته المخطوطة "المقالة الصحفية الجزائرية" - المجلد الأول: أنه في الفترة مابين 1885م، 1905م ظهرت صحف تحمل عنوان "ضد اليهود"، انظر: الأطروحة ففيها معلومات قيمة في هذا الموضوع.

[4] انظر: المقالة الصحفية الجزائرية- محمد ناصر- مخطوط.

واصطلى بناره الجزائريون وأحسوا بالإختناق فيه، ولكنهم لم يستجيبوا لهذه الروح العنصرية التي تكره العرب وتحقد عليهم، ولاشك فإن الكتاب الجزائريين أدركوا خطر اليهود بعد أن ظهرت الحركة الصهيونية للوجود عقب مؤتمر "بال" 1897م، الذي دعا إلى إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، وتتأكدوا من نواياهم بحكم أنهم أقرب من غيرهم إلى معرفة ما يجري في أوروبا بواسطة الصحف الفرنسية، سواء في الجزائر أو في فرنسا، وكذلك بحكم الإحتكاك المباشر بالغرب منذ الإحتلال.

ونحن نفرق بين أيلوبين فيما كتبه الكتاب في هذا الموضوع، الأسلوب الصحفي الذي ينقل الخبر أو يحلله ويعلق عليه دون اهتمام بالصياغة وجمال التعبير، بل دون تصوير، إذ المهم هو بيان الحقيقة وتبصير الناس بواقع القضية وبما يترتب عنها من نتائج، وهذا الأسلوب لا يهمنا في هذا البحث، وإنما الذي نعنى به هو ذلك النثر الأدبي الذي يعبر فيه صاحبه عن انفعاله تجاه القضية، ويصطنع فيه الأسلوب الأدبي سواء في عبارته أو صياغته أو إنشائه، ويجسم فيه شعوره نحو فلسطين.

على أننا من الناحية المنهجية ومن الناحية التاريخية سنشير إلى الأسلوبين معا ثم نركز على الأسلوب الثاني.

المقال الصحفي:

ففي الحديث عن أخلاق اليهود انطلق الكتاب الجزائريون من الواقع فنجدهم يحذرون المواطنين من شرهم ومن استخدامهم لمختلف السبل لتحقيق منافعهم بصرف النظر عن جميع القيم، وقد ظهر مثلا مقال في جريدة "الحق"- وهي جريدة وطنية صدرت في أواخر القرن الماضي- وصف فيه كاتبه "مايتعرض له الأهالي التعساء من معاملات اليهود القاسية التي بدلت نعيمهم بؤسا وغناهم فقرا وجعلت منهم غرباء في أوطانهم لا يملكون شيئا، لأن أولئك الجشعين قد فغروا الأفواه لالتهام كل ما تصل إليه أيديهم.." [1].

وكما سبق أن ذكرنا، إن هؤلاء الكتاب تفطنوا لخطر اليهود منذ فترة مبكرة، أي منذ أواخر القرن الماضي، فكتب عمر راسم سلسلة مقالات في المسألة اليهودية نشرت في "المرشد" و"مرشد الأمة" أعطى فيها رأيه الخاص... [2]

---

[1] تقويم الأخلاق" محمد بن العابد الجيلالي، ص 49- المطبعة الإسلامية بقسنطينة- الجزائر 1927م، والجريدتان اللتان ذكرهما صاحب هذا التقويم صدرتا أواخر القرن الماضي مثل جريدة "الحق".

[2] انظر: قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، عبد الله الركيبي، ص 42 معهد البحوث والدراسات العربية- القاهرة 1970م.

"وعمر راسم" في رأيي أول كاتب جزائري تفطن لهذه القضية فنراه يحذر الجزائريين من طرق اليهود السيئة في إفساد الشباب الجزائري بحيث يستدرجونه إلى التحلل من الأخلاق ويغرونه بالإدمان على الخمر أو القمار وما إلى ذلك، فيذكر بالنص:

"اليهود وحدهم الذين أخذوا يسعون في تشتيت شملنا ونهب أرزاقنا بواسطة وباء الخمر وقد نالوا مبتغاهم وصرنا لهم أسارى وعبيد...." [1].

بل أنه يصرخ بخطر الصهيونية منذ وقت مبكر حتى قبل إعلان "وعد بلفور"، وينبه العرب إلى هذا الخطر الذي لا يضر بالفلسطينيين وحدهم وإنما يضر بالعرب أجمعين، وذلك حين يقول: "بأن التفاهم مع الصهيونية مستحيل لأن في ذلك اعترافا بهم وبزعامتهم، والبلاد المقدسة اشتراها أباء العرب بدمائهم.." [2]

فالكاتب يبدو هنا دقيقا واعيا بالحقيقة الصهيونية مدركا لأهدافها، وأيضا يدلل على أنه كان يتابع تطورات دعواتها في تكوين وطن قومي لليهود في فلسطين منذ مؤتمر بال، بل أكثر من ذلك أن الكاتب أثناء الحرب العالمية الأولى

---

[1] "ذو الفقار" 28 جويلية 1914م.

[2] "ذو الفقار" عدد 4/ 1914م.

كتب مبينا خطر مؤتمر بال وقراراته التي نشرت في كتاب بالفرنسية، كما ندد باجتماعات اليهود في فرنسا حيث يقول عنهم انهم: "دعوا أبناء اسرائيل إلى إعانة المشروع المقدس وإظهار راية سليمان.." [1].

ونبه الكاتب إلى ما قاله أحدهم: "بأن اليهود في فلسطين سينجحون على رغم الهلال والصليب لأن العرب أمة متكاسلة لا تحب العمل، واليهود أمة نشيطة ستستولي بنشاطها على الأرض المقدسة.." [2]

فهذا الكاتب إذن كان واعيا منذ زمن طويل بما يحيكه اليهود ضد العرب وضد فلسطين بوجه خاص، ويرد على " رشيد رضا" الذي اقترح:

"أما عقد اتفاق مع زعماء الصهيونيين على الجمع بين مصلحة الفريقين في البلاد إن أمكن، وأما صرف قواهم كلها لمقاومة الصهيونيين بكل طرق المقاومة.." [3]

---

[1] المصدر السابق.

[2] المصدر السابق.

[3] المصدر السابق.

ولكن الكاتب الجزائري يرد عليه في عنف، يرد على الحل الإستسلامي المبكر الذي نادى به "رشيد رضا" فيقول راسم:

"هذا خطأ فاحش من صاحب المنار لأنه يريد أن يرضي الدخلاء بتنازل أهل البلاد اليهم حتى يعترفوا لهم بالمساواة..." [1]

على أنه في هذه الفترة التي أشرنا إليها وحتى قبل الحرب الأولى نلاحظ كتابا آخرين، مثل "عمر بن قدور" يهتمون بتأثير اليهود في تركيا وفي أوروبا، وكيف أنهم سيطروا- بما يملكون من مال وما يستخدمون من مؤامرا على الحكومات في تركيا وأوروبا منذ القرن الماضي، كما يضرب أمثلة من التاريخ لعب فيها اليهود دورا مخربا [2].



وإذا كنا لم نعثر على إنتاج كبير قبل "وعد بلفور" سوى ما ذكرناه، فإننا بعد هذا الوعد نلاحظ سيلا جارفا من

---

[1] "الفاروق" 7 مارس 1913م.

[2] "البرق" 1927/6/20م، وكان الزاهري يوقع فيه باسم "الراصد" والملاحظ أنه يقصد بالإشتراكية بعض الأحزاب التي ترفع شعار الإشتراكية في ذلك الوقت.

المقالات في مختلف الصحف تندد به، وبالإستعمار الإنجليزي الذي فرض حمايته بالقوة على فلسطين، وبالتالي مهد الطريق لإقامة وطن لليهود على أرضها، بل تهاجم تلك الموجة التي طغت في الجزائر وتمثلت في دعوة اليهود إلى إغاثة أمثالهم في فلسطين وظهور شخصيات يهودية تنشيء الجمعيات وتجمع الأموال بقصد إرسالها إلى يهود فلسطين.

وقد قابلت هذه الموجة موجة أخرى من الجزائريين على لسان كتابها تدعو الشعب إلى اليقظة والحذر وعدم التورط في إعطاء اليهود أموالا لن تبقى في الجزائر، بل مآلها الذهاب إلى فلسطين لتستخدم ضد العرب والمسلمين هناك.

ولعل الكاتب "محمد السعيد الزاهري" كان من بين من عنوا بصورة خاصة بهذا الموضوع في تلك الحقبة، وأظهر وعيا بما يقوم به اليهود في الجزائر لنصرة أمثالهم في فلسطين، وقد أثاره أحد المحامين اليهود واسمه "ناطان لابيرن" الذي حل بالجزائر من "لدن جمعية كيرن هايسود اليهودية يدعو إخوانه الإسرائيليين لإعانة معمري أرض الميعاد"، ويقول "الزاهري" عنه أيضا: "وقد احتفل به يهود بلادنا بكل أبهة وإكرام واجتمعوا عليه مع رؤساء "الإشتراكية" في قاعة مركز العساكر

والبحرية حيث ألقي خطابا يحرض فيه الهمة اليهودية لتأييد دين آبائهم وأجدادهم"[1].

ولكي يستحث الكتاب الجزائريين والمسلمين والعرب عامة على التشبث بالأوطان وبالقومية، يشرح مجهودات اليهود لإنشاء وطن رغم تشتتهم في بلدان كثيرة ورغم تيههم منذ آلاف السنين، ويناقش إدعاء اليهود في فلسطين وحقهم في أرضها "بأمر الرب" كما يزعمون، ويفند حججهم بالمنطق والواقع، فاليهود إذا كانوا قد خرجوا منها فلماذا؟ ومن أخرجهم؟ فالأرض لمن بقي فيها وحافظ عليها ولم يتركها.

والكاتب لا يرى في أطماع اليهود سوى لون من أطماع الإستعمار ورغبته في استغلال الشعوب:

"يقول اليهود أن فلسطين ملك لهم بأمر الرب، وإذا كان الأمر كذلك فمن الذي أخرجهم منها، هل هو أقوى من الرب؟ وعلى كل حال فهي ليست لهم لأن أهاليها هم الذين لم يفارقوها ومكثوا فيها من قبل التيه إلى اليوم، ولم يأمر الرب ولم يوافق العدل على أن لا يملك تلك الأرض إلا المتدين

---

[1] المصدر السابق.

باليهودية، بل الحق الذي لا مراء فيه هو أن استعمار فلسطين باليهود هو ظلم كظلم سائر الإستعمار..." [1]

ولذلك يشجب موقف اليهود في الجزائر ويرفض أن ترسل الأموال إلى فلسطين لتستخدم ضد "أهالي فلسطين الحقيقيين..." [2]

ثم يوجه نقده لهذا المحامي وأمثاله من اليهود وزعمائهم الذين يتحدون شعور الجزائريين، ويهددهم قائلا: "وليعلموا أن فلسطين أرض عربية إسلامية وأن أموالنا وأرواحنا التي أزهقت في الحرب الأخيرة لا تذهب وراء سعي المرابين" [3]

"فالزاهري" من أكثر الكتاب تفطنا إلى صلة اليهود في الجزائر بأمثالهم في فلسطين بل باتحاد يهود العالم ضد فلسطين وضد العرب، وإذا كان في المقال السابق قد ناقش القضية بالمنطق والحجة واستخدام أسلوب الإقناع، فإنه في مقال آخر قد عبر عن شعوره وإحساسه وانفعاله بالقضية حين ظهر طغيان الصهيونية في فلسطين 1929م، وربما بعد ثورة الشعب الفلسطيني في أواخر العشرينات التي كان رد الإستعمار

---

[1] المصدر السابق.

[2] المصدر السابق.

[3] الإصلاح 1929/12/12.

الإنجليزي والصهيونية عليها تلك المذابح وصنوف الإضطهاد التي شنت على أبناء فلسطين، مما حرك في نفس الكاتب هذه الصرخة المدوية مطالبا بالوقوف إلى جانب فلسطين في مقاله: "فظائع الصهيونية، في فلسطين. الإكتتاب، الإكتتاب، الغوث، الغوث، أيها المسلمون" [1].

ففي هذا المقال يدق الكاتب ناقوس الخطر وينبه الجزائريين والعرب عامة إلى المؤامرة، ويدعوهم إلى إعانة فلسطين وأبنائها بشتى الطرق وخاصة بالأموال والعون المادي.

وحتى يحرك الكاتب مشاعر الناس يضرب على وتر الدين لأنه أكثر تأثيرا في الجزائريين الذين كانوا يعانون أيضا من اضطهاد الدين ومن العنصرية والإستعمار، لذلك ينبه الجزائريين إلى ما حل بأرض النبوة ويذكر بأن الصهاينة قد "اغتصبوا البراق الشريف وردوه كنيسا لهم.

واعتدوا على المسجد الأقصى في القدس الشريف وهم يحاولون أن يتخذوه كنيسا لهم أيضا.." [2]

ثم يوجه الخطاب للجزائريين بقوله: "وهل سمعتم بأن إخوانكم المسلمين الذين تركتموهم هنالك في فلسطين سدنة

---

[1] المصدر السابق.

[2] المصدر السابق.

للمسجد الأقصى وحراسا للبراق الشريف، قد جاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ودافعوا عن البراق وعن المسجد الأقصى ثم اغتالتهم الصهيونية اليهودية وفتكت بهم فتكا ذريعا.." [1]

ثم يبين موقف العالم الإسلامي الذي ساند الفلسطينيين في تلك الفترة وجمع لهم الأموال وفتح الإكتتابات "وما بقي غير الجزائريين" [2].

فهو بهذا يثير نخوة أبناء وطنه، رغم أنه يعرف أن الإستعمار الفرنسي يقف بالمرصاد لهم ولتعاطفهم مع فلسطين أو غيرها من الوطن العربي، ولكنه بعد أن استخدم التكرار في الفقرة الأولى يحشد في فقرة تالية صورا تعبر عن حزن الجزائريين وشعورهم بالألم العميق لما يجري في فلسطين، مطالبا إياهم بترجمة إحساسهم هذا إلى مساعدات لإخوانهم الفلسطينيين:

"أرى في الجزائر أعينا باكية تفيض مع الدمع على ضحايا البراق الشريف وقلوبا دامية ملؤها الألم والحسرة على ما أصاب المسلمين حرس البراق الشريف، وعواطف هائجة ساخطة على أولئك اللصوص الصهيونيين الذين اغتصبوا البراق وعلى سياسة

---

[1] المصدر السابق.

[2] المصدر السابق.

الإنجليز الجائرة التي تجور على المسلمين وتحابي اليهود في فلسطين، وإلى الآن لم نقم بأي عمل ينفع أولئك المسلمين المنكوبين.." [1].

على أن الكاتب يقارن بين موقف الجزائريين في مساعدتهم لإخوانهم الليبيين في حرب طرابلي ضد الإيطاليين، وبين فلسطين التي تترقب منهم هذا الموقف [2].

ولا شك أن أحداث فلسطين 1928م، وما بعدها هي التي حركت وجدان هذا الكاتب بمثل هذا الأسلوب الحماسي المتفجر عاطفة، بل إنه سخر من بعض المنظمات الدينية الجزائرية التي لم تلتفت لفلسطين واهتمت بما يجري في الحجاز عندما قامت ثورة "الوهابيين"، فتباكت على الإسلام خوفا عليه من هذه الحركة الجديدة، ويهاجم بوجه خاص أولئك "الطرقيين" وأصحاب الزوايا من المتصوفة الذين يمثلون الفكر الرجعي المتحجر ويبكون على القباب والقبور ولكنهم لا يحركون ساكنا من أجل المسجد الأقصى الذي يتعرض للإحتلال:

---

[1] المصدر السابق.

[2] المصدر السابق.

".. وأنتم أيها الطرقيون إن كان يسوؤكم من جلالة ملك الحجاز أن يسنم القبور ويهدم القباب فهلا يسوؤكم من اليهود أن يغتصبوا البراق الشريف ويردوه كنيسا لهم، فهل لكم أن تسترجعوا البراق الشريف وتحتفظوا بالمسجد الأقصى ببعض ما تنفقونه حول الأضرحة والقبور من نذور وصدقات.." [1]

ومن المؤكد أن الزاهري في هذا المقال وغيره إنما انفعل هو وأمثاله في ذلك الوقت بما يجري في فلسطين بعد ظهور قضية "حائط المبكى" الذي اتخذ منه اليهود شعارا يتسترون وراءه حتى يحققوا أهدافهم.

وهو بعد ذلك يوجه نداء حارا لكل المنظمات والجمعيات والأفراد ليقفوا إلى جانب الفلسطينيين، فقد خاطب رجال "نادي الترقي" ورجال الصحافة يدعوهم إلى أن يصوروا "مرارة المحن والشدائد التي ذاقها المسلمون هنالك.." [2]

كما يقارن مرة أخرى بين اليهود والمسلمين وينبه الأذهان إلى ما يفعله اليهود من أجل إخوانهم ومالا يفعله المسلمون من أجل الفلسطينيين:

---

[1] المصدر السابق.

[2] المصدر السابق.

"إن اليهود في كل موضع يؤيدون إخوانهم في فلسطين على باطلهم المنكر فلماذا نحن المسلمين لا نؤيد إخواننا هنالك على حقهم المعروف المقدس..." [1]

والشيء الملفت للنظر حقا أن الصحافة الجزائرية في هذه المرحلة أولت عناية خاصة لأخبار فلسطين، فما من جريدة إلا ونقلت ما يجري هناك من أحداث خطيرة وما يحاك ضد فلسطين وسكانها الأصليين [2]

وكانت هذه الأخبار تتصدر الصحف بعناوين بارزة مثل: "الحالة في القدس"، "قلاقل فلسطين" وغيرها، بل أن هذه الصحف كانت تنقل المقالات التي تصدر في صحف فرنسية كجريدة "لابريس ليبر".

وهناك كاتب آخر اهتم بقضية فلسطين، وكرس لها مقالات إضافية حلل فيها ادعاء الصهيونية في "حائط المبكى"، وهو "أبو اليقظان" صاحب جريدة "وادي ميزاب"، فقد حلل الأحداث التي وقعت بسبب ذلك الحائط وقال إن إثارة الموضوع لا

---

[1] المقالة الصحفية الجزائرية- محمد ناصر- مخطوط

[2] الفلصمة هي اللحم بين الراس والعنق وهو يقصد أن الصهيونية تمتص دماء العالم وتسيطر على اقتصاده.

ترجع إلى عقيدة دينية أو إلى حق شرعي، بل ترجع إلى أسباب أخرى أهم من ذلك وأخطر:

".. إنما حقيقة المسألة هي السرطان الصهيوني الناشب مخالبه في غلصمة [1] العالم الظاهرة عوارضه الراهنة في فردوس الإسلام وجنة الأرض ومقر أنبياء الله فلسطين..." [2]

فالكاتب ينظر إلى الإدعاء في حائط المبكى نظرة أخرى، فهو يرى في الصهيونية سرطانا واستعمارا، تسعى إلى احتلال الأرض واستغلال خيراتها شأن الإستعمار، والكاتب يوجه سهام نقده إلى حكومة الإنجليز التي حمت أطماع اليهود، بل وحمت جرائمهم التي ارتكبوها ضد الفلسطينيين، ويسخر من وفائها لليهود "وعد بلفور" وتنكرها للعرب رغم وعدها لهم قبل ذلك، ثم يسخر أيضا من اعطائها أرضا ليست لها:

"وإذا حملها سخاؤها على أن تتكرم على أية طائفة شاءت فذلك شأنها ولا دخل لنا في ذلك، وإنما نقول يجب أن يكون السخاء من جيبك ومن بلادك لا من جيوب الناس وبلادهم.." [3]

---

[1] "وادي ميزاب" 1930/1/25

[2] المصدر السابق.

[3] المقالة الصحفية- محمد ناصر- مخطوط.

ولكن كاتبا آخر يختار أسلوب الهجوم الحاد والسخط على الإنجليز وعلى مؤامراتهم، كما يختار أسلوب الفخر بمقاومة الفلسطينيين واستشهادهم، ويحث الفلسطينيين على التضحية، فإذا كانوا قد قدموا الشهداء الذين أعدمهم الإنجليز 1930م، فإن ذلك هو ثمن الحرية وطريقها: "لم تدفن في تلك القبور الثلاثة جثث الأبطال الشهداء الخالدين، كلا، لقد دفن أولئك في القلوب العربية الدامية، إنما الذي دفن في تلك القبور أبديا هو سياسة حسن الظن في الإنجليز واعتماد الضعيف على القوي لإحراز حقه، سياسة التكفف والإستجداء والإبتذال، لقد حال الموت الزؤام بين الإنجليز ورجال العرب، فلن يكون بينهما في المستقبل إلا الموت الزؤام.." [1].

فنحن نرى من هذا النص أن "أحمد توفيق المدني" كان من الكُتاب الثائرين والمكثرين من الحديث عن فلسطين والرافضين للحلول الإستسلامية، وهو نفس الموقف الذي اتخذه "عمر راسم" منذ أكثر من خمس عشرة سنة، الأمر الذي يمثل خطا واضحا للكتاب الجزائريين في فهمهم ونظرتهم للحلول الحاسمة تجاه هذه القضية. فهم منذ أن أخذوا يعالجون ملابساتها وأحداثها لم ينخدعوا بوعود الإنجليز العرب، لأنهم

[1] "المغرب" 1930/7/4.

يعرفون وعود الإستعمار، ويدركون جيدا أن هذه الوعود إنما هي أسلوب لذر الرماد في العيون، كلما اشتدت مقاومة الشعوب لنفوذه وسطوته، فقد وعدت فرنسا الشعب الجزائري باستقلاله منذ الحرب الأولى، ولكنه بعد أن انتصرت فرنسا ومعها الحلفاء لم يجن من ذلك سوى المزيد من القهر والمماطلة، بالرغم من التضحيات التي قدمها الجزائريون من أجل "العالم الحر" ومن أجل فرنسا بالذات، وإذا كان هنا نفر من الكتاب- وهم قلة- لم يصرحوا بجرأة عن موقفهم هذا سواء تجاه الإنجليز أو فرنسا، وكانوا يخاطبونهما بأسلوب فيه لين، فإن أغلب الكتاب كانوا يستخدمون أسلوب الثورة والصراحة والهجوم.

ووعي الكتاب الجزائريين يبدو أيضا في تنبههم للأحداث في فلسطين تحت الإنتداب البريطاني، وتنبيه الرأي العام في الجزائر وخارجها إلى مناورات بريطانيا التي تظهر للعرب غير ما تبطن، وتساند الصهيونية في الخفاء وفي العلن أحيانا كثيرة، فحين أصدرت "الكتاب الأبيض" الذي أغضب اليهود، لم تنطل الحيلة على كتاب الجزائر، ونددوا بالمناورة التي قصد منها إلهاء الفلسطينيين عن حقهم في أرضهم وبلادهم وحريتهم [1].

[1] "البلاغ" 1931/3/1م بإمضاء "مطلع"

هذا موقف الكتاب قبل الثلاثينات، وهذا إدراكهم للقضية الفلسطينية ومعطياتها، أما بعد ذلك وحتى الحرب العالمية الثانية، فإن موقفهم ازداد وضوحا واشتدت دعوتهم إلى مؤازرة الشعب الفلسطيني، خاصة بعد أن تأسست "جمعية العلماء" سنة 1931م، وأصبحت لها صحف رسمية تعبر عن أفكارها الإصلاحية، مثل جريدة "البصائر" ومجلة "الشهاب"، كما انتشرت المقالات حول فلسطين في صحف أخرى لغير هذه الجمعية، وظهر تيار واضح في كتابات الجزائريين يواكب تطورات القضية ويبصر الناس بها وبظروفها، وهنا نجد الأسلوبين الآنفي الذكر، أسلوب التحليل للأحداث ومعطياتها، كما نجد أسلوب الحماسة يطغى على كثير من المقالات، مما يقربها من النثر الأدبي، وقد استمر هذا حتى بعد الحرب العالمية الثانية، بل حتى قيام ثورة نوفمبر 1954م.

ففي مقال بعنوان "قضايا العالم العربي- فلسطين" يعلن صاحبه القطيعة الكاملة بين العرب وأعدائهم، وربما هذا ردا على محاولات الإستعمار الإنجليزي لتهدئة خواطر الجميع، فكان المقال ردا على هذه السياسة الكاذبة وهذه المناورات: "لا

وفاق بين الفريقين ولا أنساب بينهم ولا هم يتساءلون، إنما هي أحلام وهواجس وحيل ودسائس وأضاليل ووساوس" [1].

بهذا الأسلوب المسجوع يبدأ الكاتب في كشف دور الإنجليز حين حاولوا التوفيق بين العرب وأعدائهم بعد أن فشلوا في سياستهم بالقوة، ولجأوا إلى المناورة حتى يثبتوا حقوقا غير مشروعة بواسطة هذه الدعوة إلى التفاهم بين الفلسطينيين والصهاينة، وقد حاول بعض اليهود أيضا أن يدعوا إلى هذا الوفاق بين العرب واليهود وإزالة سوء التفاهم فيما بينهم [2].

والكاتب في مقاله الذي يتضمن تحليلا واعيا بالأحداث في ذلك انحين، ينبه إلى أن هذا التغير في موقف الصهاينة، إنما جاء نتيجة تمسك العرب بحقهم في أرضهم، ورفضهم لأسلوب الإستجداء، واختيارهم طريق الثورة والنضال، وهو طريق صعب تعرضوا بسببه لكثير من المحن وذاقوا صنوفا من العذاب، وتحملوا ما عجز عن احتماله غيرهم، ممن هم في مثل وضعهم: "لقد ذاق أولئك العرب المساكين أنواع الإضطهاد والأذى في سبيل استمساكهم بحقهم الطبيعي ودفاعهم عن مالا يتصور احتماله في غير أولي النفوس الجبارة التي انتهت بهم إلى تلك

---

[1] المصدر السابق.

[2] المصدر السابق.

المعاملة الشائنة إلى درجة يذهب معها حلم الحليم وصبر الصابر، فانفجر ذلك البركان الهائل الذي صير فلسطين المقدسة مجزرة بشرية.." [1].

إن الكاتب يصور انتفاضة الشعب الفلسطيني ضد الإحتلال الإنجليزي وضد الصهيونية، ويصور مدى ما عانى منه هذا الشعب العربي المناضل وما تحمله دفاعا عن الأرض والحق والعدل، وهو يعي سبب تراجع الصهاينة ومعهم الإنجليز ومحاولاتهم تهدئة هذا البركان - على حد تعبيره - وذلك حين اصطدموا بالواقع، فزالت عن أبصارهم الغشاوة "ورأوا في الزوايا خبايا وفي العرين ليوثا وشعروا بسوء المغبة وقرعوا سن الندم ولات حين مندم، وحين لم يمكنهم الدخول من هذا الباب باب العنف والشدة، رأوا من مصلحتهم أن يقلبوا الورقة سترا لفضيحتهم ودفاعا لمعرة الفشل الذي باؤوا به، ويستعملوا أساليبهم المتنوعة لإيجاد باب آخر يدخلون منه المسرح لتمثيل نفس الرواية إنما غشوها بغشاء ظاهري شفاف.." [2]

هذا هو الخط الذي سار فيه الكتاب الجزائريون ولم ينخدعوا

---

[1] المصدر السابق.

[2] انظر "الشهاب" 1934/9/11م.

بتجارب اليهود أو خضوعهم لما جاء في "الكتاب الأبيض"، أو لينهم الذي تواروا خلفه حتى تتاح لهم الفرصة للإنتفاض مرة أخرى، فالكاتب يكشف سر تبدل أساليبهم ويدركها كما أدركها قبله من تحدثنا عنهم سابقا، وهو إذن يوعز ويوحي للعرب بأن يتفطنوا إلى مكرهم وطرقهم الملتوية، وألا ينخدعوا بالظاهر، مشيرا بهذا إلى الضجة التي أثارها اليهود في تلك الفترة ضد الإنجليز، محاولين أن يلقوا بالمسؤولية على عاتق حكومة الإنتداب التي في زعمهم تسعى إلى الفرقة بين السكان من أصلين وجنسين مختلفين، ربما ليزرعوا البلبلة، في النفوس أو ليستعدوا الإنجليز على العرب كما فعلوا دائما، ولكن الكاتب يذكر بأن الفلسطينيين أدرى بهذه المناورة الصهيونية، وأنهم سيستمرون على صمودهم ورفضهم لأي دعوى أو ادعاء لليهود في فلسطين [1].

ولابد أن نشير هنا إلى ردود الفعل من جانب اليهود في الجزائر، حيث وقعت حوادث كثيرة دامية في تلك الفترة بسبب استفزاز اليهود للجزائريين المسلمين، وتحرشهم بهم في كثير من مناطق القطر، واعتداءاتهم المتكررة عليهم وعلى الدين

[1] من أدمها لجنة إغاثة فلسطين بالعاصمة وكان أمينها العام "الأمين العامودي" أما الأمين المالي/ فكان محمد بن الباي.

الإسلامي، ومنها فاجعة قسنطينة التي وقعت أواخر سنة 1934م، واستخدم فيها اليهود ضد العرب كافة وسائل الأذى حتى الرصاص، مما نجم عنه سقوط الكثير من القتلى والجرحى[1]

وهكذا كان اليهود في الجزائر ينتقمون من الجزائريين لموقفهم المساند لإخوانهم عرب فلسطين، ولمجهودات الكتاب في فضح مؤامرات الصهيونية والإستعمار، والتي ازدادت عنفا وقوة بعد ثورة الشعب الفلسطيني عام 1936م، وإضرابه المشهور.

وهنا توالت المقالات صارخة مدوية تستثير عاطفة القومية والدين في نفوس العرب جميعا، وظهرت الدعوة إلى تكوين لجان من أجل إغاثة فلسطين[2].

كما نشرت البيانات عن الصحف تندد بالإنجليز وانحيازهم لليهود، وتشجب أطماع الصهيونية في فلسطين، خاصة حين ظهر مشروع "قرار التقسيم" عام 1937م، فرأينا ذلك السيل الجارف من البرقيات والمقالات والبيانات تنشر تباعا في الصحف والمجلات والجرائد الجزائرية تساند أبناء فلسطين

---

[1] انظر: "البصائر" أعداد: 21 ماي، 7 جويلية، 13 أوت، 17.3 سبتمبر، 5 نوفمبر، 31 ديسمبر، 1937.

[2] المصدر السابق.

وتندد بأعدائهم من مستعمرين وصهاينة، وكذلك رأينا الإحتجاج ضد عزل الحاج أمين الحسيني من رئاسة المجلس الإسلامي الفلسطيني فهاجر إلى الشام بعد أن أمر الإنجليز بإلقاء القبض عليه.

وبالطبع فإن هذه المقالات مليئة بالسخط تنضح بالثورة والحماس والنبرة العالية ضد ما يجري في فلسطين من ظلم وقهر [1]، وهو الطابع نفسه الذي اتسم به شعر تلك الفترة.

وسنكتفي بنموذج واحد من تلك المقالات التي عرضت لهذه القضية بعد الثورة الفلسطينية الكبرى وبعد مشروع التقسيم، لأن عرض هذه المقالات يستلزم دراسة أخرى لا يحتملها هذا الحديث، ذلك أن قرار "لجنة بيل" التي دعت إلى تقسيم فلسطين في السنة المشار إليها أحدث ردود فعل عنيفة في نفوس الجزائريين، وكان من الطبيعي أن ينفعل كتابهم وشعراؤهم لهذا الظلم الصارخ، باعتبار أن الأديب أكثر إحساسا بالكارثة، بل أكثر قدرة على التعبير عنها وعن أبعادها وظروفها ومعطياتها.

---

[1] المصدر السابق.

والمقال الذي عنيناه هو لكاتب وشاعر جزائري كان له دوره أيضا في الحركة الإصلاحية، ولكنه إلى جانب هذا كان يرفض المهادنة لأن مزاجه حاد وطبيعته ترفض المساومة، كما أن البيئة التي ولد فيها تقدس كل ماله صلة بالتاريخ والتراث العربي الإسلامي، لذلك جاء مقاله صرخة تهز أولئك الذين لم يستيقظوا بعد على ما يجري في الأرض المقدسة، هذا الكاتب هو "الطيب العقبي"، ولكي يؤثر على قرائه يصدر مقاله بهذا النداء العاطفي:

"لبيك، لبيك فلسطين فما أنت لأهلك فقط، ولكنك للعرب كلهم وللمسلمين أجمعين..."[1] ..... ثم يكتب المقال تحت عنوان آخر يوحي فيه بأن مسؤولية فلسطين مسؤولية العرب والمسلمين، ويعتبر ما وقع لها كارثة حلت بالجميع.

وفي المقدمة يعبر عن عواطفه الحارة وإحساسه الجارف نحو فلسطين حين يبين مكانتها في نفوس العرب والمسلمين، باعتبار أن القدس ثالث الحرمين وأولى القبلتين، ويحلل القضية الفلسطينية من الوجهة الدينية والتاريخية مؤكدا حق العرب فيها منذ الأزل، ويستعرض في الوقت نفسه أمجاد فلسطين وتاريخها وبطولات أبنائها قديما وحديثا، ولكنه يضيف بعد

---

[1] المصدر السابق.

آخر لنقضية وهو البعد القومي بينما كثير من المقالات السابقة على مقاله هذا عنيت بالجانب الديني وبالعاطفة الدينية والحث عليها في عرضها للقضية أو الدفاع عنها، وهذا يمثل تطورا للقضية كلها من جهة وتطورا في الحس القومي لدى الكتاب الجزائريين الذين لا يفارقون عادة، بين العروبة والإسلام، بل وحتى الشعراء أنفسهم حين كانوا يتحدثون عن هذه القضية أو القضايا العربية الأخرى في تلك الفترة كانوا لا يفرقون بين الأمرين.

وهذا التطور هو ما يفسر بداية المقال بالحديث عن العرب وأمجادهم ومكانة فلسطين لديهم: "ولم يجهل أي عربي في أي مكان من الدنيا قيمة هذه البلاد العربية ذات الأمجاد الخالدة والآثار الخالدة...." [1]

حتى يقول: "لهذا فإن كارثة فلسطين لم تكن بالأمر الذي يخص أهلها فحسب... ولكنها كانت مأساة عامة وكارثة عظمى، حلت بالعالم الإسلامي كله والعرب أجمعين..." [2]

وهذه الكارثة سببها قرار التقسيم كما ذكرنا، ويصيب غضبه على الإنجليز حماة إسرائيل وعلى انتدابهم: "فقد: جلبوا

[1] المصدر السابق.

[2] المصدر السابق.

لفلسطين المحبوبة العزيزة علينا كل بلاء وأنزلوا بساحتها كل مصيبة وكل رزية وبلية من يوم عرفتهم بانتدابهم المشؤوم عليها وتدخلهم الممقوت الملعون في شؤون أهلها الآمنين المطمئنين.." [1]

ولكن الكاتب لا يريد فقط أن يحلل الأوضاع السياسية والحوادث المختلفة للقضية وإنما هو داعية قبل كل شيء، شأن المصلحين من الكتاب بل شأن الساخطين على الإستعمار في وطنه أو في فلسطين وكأنه يعبر عن واقع الجزائر في تلك الفترة المظلمة:

"ومن من الناس لا يلهج اليوم باسم فلسطين الشهيدة، فلسطين الدامية فلسطين الثاكلة الباكية الحزينة؟ فلسطين ضحية الإستعمار ونهبة العدو القوي الظالم فلسطين التي أرادت "جمعية الأمم" أو إذا قلنا ما يطابق الواقع- أراد الإنجليز القساة البغاة تقديمها على مذبح مطامعهم ومصالحهم الخاصة لقمة سائغة للآكلين وغنيمة باردة لشذاذ العالم ونفاية الأمم من الصهيونيين...." [2]

والكاتب لا نسى كفاح الفلسطينيين فيشيد بثوراتهم المتعاقبة دفاعا عن أرضهم وعرضهم وفي قمتها ثورة 1936م،

---

[1] المصدر السابق.

[2] من مقال لابن باديس- البصائر سبتمبر 1938م.

ولكنه لا ينسى دور الملوك العرب في الضغط على الشعب الفلسطيني، هؤلاء الملوك والحكام الذين استخدمهم الإستعمار لتحقيق مآربه التي التقت مع مآربهم خوفا من هذه الثورة التي قد تتطور إلى أحداث أخرى ربما تغير من واقع المنطقة ومن صورتها فيقول:

...حتى تدخل ملوك العرب ورجالات الإسلام في إيقافها رغبة في المفاهمة مع الإنجليز [1].

ويسخر الكاتب بعد ذلك من قرار التقسيم الذي يقضي بمنح المنطقة الغنية لليهود، والمنطقة الجرداء للعرب، أما الأماكن المقدسة فتبقى تحت الإنتداب الإنجليزي، ويثور على هذه المحاباة التي تجانب الحق وتتماشى مع مطامح اليهود الصهاينة وتلبي مطالبهم، ويختم المقال بذلك النداء الذي صدر به مقاله يستنهض فيه الهمم ويحث فيه العرب والمسلمين إلى الدفاع عن فلسطين.

والمقال في أسلوبه كما هو واضح يعبر عن عاطفة جياشة وصياغة قوية وعناية بإظهار الحق العربي وتكتل العرب قضية فلسطين.

---

[1] البصائر 3 سبتمبر 1937م.

وهناك مقالات أخرى كتبها الشيخ ابن باديس، تسير على هذا النسق وتضرب على الوتر نفسه نشرها في "البصائر" "والشهاب" سنة 1938م، واحتج فيها باسم جمعية العلماء- بوصفه رئيسا لها- على ما يجري في فلسطين وطالب الحكومة الفرنسية بأن تتدخل وتوقف الضغط على أبناء فلسطين، كما احتج على مشروع التقسيم الجائر.

والملاحظ أن الكتاب الجزائريين قبل الحرب العالمية الثانية كانوا دائما يوجهون سهام نقدهم إلى حكام العرب على تخاذلهم ومواقفهم المذبذبة تجاه القضية الفلسطينية: "رأينا أمراء العرب يذهبون بأنفسهم وبمندوبيهم مجتمعين لحضور حفلة تتويج ملك انجلترا بلندرة، فلماذا لم نرهم يذهبون إليها محتجين على تنكيلها بجيران المسجد الأقصى وحماته...." [1].

وأكثر من هذا أن علماء الدين الرسميين قد أفتوا في هذه القضية من الناحية الشرعية وبينوا حق عرب فلسطين في وطنهم وديارهم وعرضوا للقضية من الوجهتين التاريخية والدينية، وبينوا كيف أن اليهود على مر السنين عاشوا في البلاد العربية في أمن وسلام، حتى وجدوا الإنجليز فتآمروا معهم ضد فلسطين [2].

---

[1] البصائر 22 ديسمبر 1947.

[2] المصدر السابق.

وبالطبع فإن أسلوب هذه المقالات شبيه بالمقالات الإخبارية التي لا تعني بالجمال الأدبي وإنما تهتم بالأفكار وتقيم الحجج المختلفة والبراهين العقلية والنقلية حول القضية.

المقال الأدبي:

ونشبت الحرب العالمية الثانية، وتوقفت معها الصحافة الجزائرية إما مصادرة أو خشية الإضطرار إلى اتخاذ موقف مناصر للإستعمار في هذه الحرب مثلما فعلت جمعية العلماء التي أوقفت صدور "البصائر" لهذا السبب، وتعلقت أنظار العالم بما يجري في هذه الحرب من أحداث خطيرة هزت وجدان الشعوب في كافة أنحاء المعمورة.

ولما انتصر الحلفاء عادت قضية فلسطين إلى المسرح العالمي وازداد إصرار الشعب الفلسطيني على نيل حقه، كما اكتسح العالم العربي تيار القومية العربية وظهرت جامعة الدول العربية إلى الوجود، ورغم تناقضاتها ووجود حلفاء لانجلترا فيها فقد استبشر بها العرب واعتبروها بداية لتجمعهم بعد أن تنبهوا سواء في المشرق أو المغرب العربي إلى واقعهم وأصبحت فلسطين تمثل قبلة سياسية بعد أن كانت فيما مضى قبلة دينية وغدت المحور الذي تدور حوله كتابات الأدباء والكتاب وتلتف عواطف الجماهير العربية من محيطها إلى خليجها.

وبدأت السحب تتراكم في سماء فلسطين وتأزمت الأحداث لتصل إلى الذروة حين أصدرت الأمم المتحدة قرار التقسيم الفعلي

لفلسطين عام 1947م، فانفجر الغضب على أرضها وعلى امتداد الأرض العربية، وعبر عن هذا الكتاب والشعراء الجزائريون والعرب جميعا وتفجرت قرائحهم بقصائد ومقالات حماسية ترفض هذا الظلم وتشجبه وتعكس ما يعتمل في نفوس الجماهير من سخط على الأمم المتحدة والصهيونية والإستعمار الذين اتفقوا جميعا على تشريد الشعب العربي الفلسطيني ومحو كيانه.

ونلمح في الأساليب الأدبية عاطفة صادقة وخوفا مما يجري في فلسطين وما يسيل على أرضها من دماء وما يلحق شعبها من ظلم وحيف.

ونجد مقالا "لمحمود أبي زوزو" ندرك من عنوانه مدى شعور الكاتب وعواطفه إذ جعله "الدم في أرض النبوة" [1] وقد تعودنا من الكاتب في مقالاته التي نشرها من بعد بجريدته "المنار" التي كانت موالية لحزب "الشعب" الذي أصبح اسمه بعد الحرب العالمية الثانية "انتصار الحريات الديمقراطية"، قلت تعودنا منه أسلوبا هادئا رزينا فيه تحليل للأحداث وتأمل لنتائجها وبحث عن جذورها وأسبابها شأن المعلقين السياسيين، ولكنه في المقال المذكور، وإن عبر عن فكر عميق، فإنه استخدم أسلوبا أدبيا

---

[1] المصدر السابق.

واعتنى فيه بالصياغة وبالجمال الأدبي إلى جانب إبراز عاطفته تجاه فلسطين وشعبها بل عاطفته تجاه الإنسانية عامة.

وتشعر في المقال بعمق الجرح الفائر في نفس الكاتب، فالتعبير بالدم والحديث عنه يشعر بالهول وبالمصيبة التي وقعت في فلسطين، وهو يكرر لفظة الدم مرات عديدة ليعمق هذا الإحساس:

"الدم يسيل في أرض النبوة، الدم يسيل في فلسطين، ليس هو دم الأضاحي والقرابين، إنه دم البشر" [1].

وهذه التعابير توحي بالحرب وما ينجم عنها من آلام ومآس، ففيها روح شاعرية وإحساس حاد بالأزمة، ويزيد من عنف هذه المأساة وحدتها أنها وقعت في أرض النبوة، ويقارن بين الدم الذي يقدم على هذه الأرض وبين ما يقدم من أجل القربان، ويسوق ذلك في نوع من التشبيه والتأكيد "كأن أرض النبوة ملت دم الحيوان وتعطشت إلى دم الإنسان، وكأن بها حاجة شديدة إلى هذا الدم الغالي، وكأن أهلها مستعدون لسد هذه الحاجة" [2].

ثم يسخر بالأسلوب نفسه من "هيئة الأمم المتحدة":

---

[1] المصدر السابق.

[2] المصدر السابق.

وكأن هيئة الأمم المتحدة حريصة على تقديم قربان تغسل به آثامها فاختارت المذبح واختارت الأضاحي لأن الآثام لا تغسل إلا بالدم ولأن السماء لا تقبل إلا الدم والأرض لا تحب إلا دم الإنسان" [1].

ولما كان الكاتب من المتهمين بالإنسان وصراعه الطويل من أجل البقاء فإنه يرد على من يتصور أن الطبيعة تحب الدم وتسعى إلى إراقته، بينما الحقيقة أن التنازع على البقاء هو سبب ما يسيل من دم وسبب التناحر بين البشر حتى يقول:

"كأن هذه السنة جرت بأن تسقى الأرض بالماء لتنبت ما به قوام جسم الإنسان وبالدم لتنبت ما به قوام حرية الإنسان...." [2].

فهذا الحكم مستمد من تلك البديهية التي تقول بأن الحرية تؤخذ ولا تعطى وأن شجرتها لابد أن تسقى بالدم.

على أن الكاتب يقارن بين دعوة النبوة وادعاء الإنسان الفاني، فهذا الأخير يبحث عن العاجلة كما جاء في القرآن، بينما الحكمة أو النبوة أو الرسالة تدعو إلى الآجلة، ومن هذا التناقض بين القيمة الإنسانية النبيلة وبين الشر في الإنسان وأنانيته وبحثه عن المصالحة الذاتية، من ذلك ينشأ الصراع من

---

[1] المصدر السابق.

[2] المصدر السابق.

أجل الحياة والبقاء والنوع، والكاتب يقف حزينا لما يجري بين البشر من صراع وقتال ودم فيصرخ من أعماقه:

"رحماك- اللهم بهذه البشرية المعذبة، لقد فعلت فيها سنة تنازع البقاء الأفاعيل فملأت الأرض بدمائها ولا تزال أحشاؤها تلتهب عطشا إلى هذه الدماء منذ فجر التاريخ البشري"[1].

ويعيد إلى الأذهان قصة هذا الصراع بين الأخوين هابيل وقابيل ويستغرب هذا الموقف الذي لا يجد له تفسيرا سوى الفكرة الفلسفية السالفة الذكر وهي أن الأرض عطشى للدماء البشرية.

ومن هذا الموقف يعرض لذلك الصراع الذي تتغلب فيه النوازع الذاتية والمنافع الفردية وتطغى على الحس الإنساني وعلى عنصر الخير وقواه الطيبة، ويختفي العقل ونوره ليحل الشر وظلامه في نفس الإنسان، ولو تدبر الإنسان هذا لما لجأ إلى القوة ولما أراق قطرة من دماء أخيه:

"لو أشفق الإنسان على نفسه ما حدثته نفسه بإراقة دم أخيه، لأنه حين يريق دم أخيه كأنما يريق دم نفسه، إن الإنسان

---

[1] المصدر السابق.

–أحب أم أكره– أخو الإنسان وإن اختلفت الألوان واللغات والأديان.." [1]

فهذه النظرة الفلسفية كانت دائما نظرة المفكرين الإنسانيين في كل العصور، ولكن تقابلها نظرة أخرى لاتحتكم إلى المنطق أو العقل بقدر ما تحكم العاطفة وتستند إلى النظرة المادية الصرفة، ومن ثمة فإن الكاتب يقارن بين مطلب الروح ومطلب الجسد، وغالبا ما يستجيب للأخير لأنه يفكر في اللحظة الحاضرة فقط.

والمقال بعد ذلك يطنب في هذه الموازنة أو المقارنة بين الأضداد مثل القوة والرحمة، الجحيم والنعيم والآجل والعاجل وغيرها، ويتألم للأرواح التي تزهق في فلسطين.

وبنظرة تتماشى مع ما قدمناه من آراء الكاتب يشير إلى أن "الأمم المتحدة" أرادت أن تمثل فصلا من فصول هذه الرواية "على حد تعبيره" ليقوم بتمثيله العرب واليهود في أرض النبوة... [2]

ويكون الرمز هنا وإن كان مباشرا صريحا فإنه يعبر عن الواقع فالسرحية التي تمثلها الأمم المتحدة في قضية فلسطين حرض عليها "الشيطان" وما الشيطان هنا سوى الإستعمار:

---

[1] المصدر السابق.

[2] المصدر السابق.

"وهل يريد الشيطان أن يجري في أرض النبوة الا ما يهتز له الأنبياء في قبورهم؟ إذ هزموه في أزمنتهم فأراد أن ينتقم لنفسه بعد أزمنتهم فاختار لذلك أرضا مقدسة لديهم، لتكون مسرحا لتمثيل وساوسه وتنفيذ أغراضه، واختار هيئة الأمم المتحدة لتضع هذه الوساوس في القالب اللائق بها" [1].

ونلاحظ أن الكاتب بأسلوبه هذا وبمقارنته بين الإستعمار والشيطان تجنب التقريرية والمباشرة، واستخدم التمثيل والرمز، بالرغم من تفسيره وشرحه:

"وكانت الأوتار التي وقع عليها الشيطان توقيعه المردي هي عروق العنصرية، العنصرية التي قهرت اليهود في أوروبا وطردتهم من ألمانيا.." [2]

فاليهود إذن كانوا ضحية الإستعمار والعنصرية في أوروبا، ولم يجدوا سوى أرض فلسطين ليحققوا بها عنصرية أخرى جديدة دفع ثمنها العرب بتأييد من الأمم المتحدة التي لم تحكم بالحق ولا بالعدل.

---

[1] المصدر السابق.

[2] المصدر السابق.

وبعد أن يفيض الكاتب في الحديث عن الإستعمار الذي هو سبب مصائب الشعوب ومحنها، يدخل في عرض أهداف الإستعمار البريطاني في فلسطين، فهو ينصح اليهود بوقف الهجرة بعد أن كان مسموحا بها حتى يوجد قوة تماثل قوة العرب في عددها وأفرادها، يستخدمها وقت الحاجة، ويحلل دور هذا الإستعمار تحليلا وافيا ينم عن وعي وإدراك لهذا الدور الذي لعبه في ضياع فلسطين، ويسوق في معرض الحديث ما ردده بعض الكتاب لفائدة الإنجليز: "إنه لعالم سعيد الذي يصبح فيه السلم مصلحة بريطانية..." [1].

ويناقش هذا الرأي بفهم عميق ويقول: "إن سعادة العالم ليست متوقفة على اتجاه مصلحة بريطانيا، وليست الأرض التي تتجه إليها عناية الإنجليز تحظى بالسعادة..." [2] ويشهد على ذلك ما فعلوه في فلسطين.

وبعد تحليلات فلسفية كثيرة حول قيم الحق والخير والجمال والتي لا مجال هنا لمناقشة الكاتب فيها، يصل إلى الحل وهو أن يعود اليهود من حيث أتوا، يعودون إلى الأوطان التي طردوا منها وأن يجلو الإنجليز عن أرض فلسطين: "وتحل محلهم

---

[1] المصدر السابق.

[2] المصدر السابق.

هيئة أممية مخلصة تقيم بها العدل والمساواة وتزيل الأحقاد وتبث التسامح وتساعد الشعب على التقدم، وتهيء الجو للتفاهم بين العرب واليهود حتى يتسنى لهم تشكيل حكومة ديمقراطية" [1].

والملاحظ أن الشعار المرفوع اليوم الذي يدعو فيه أصحابه إلى تكوين دولة ديمقطراطية، نادى به هذا الكاتب الجزائري منذ هذا التاريخ المبكر نسبيا، مما يدل على أن العرب ليسوا متعصبين وأنهم حتى في تلك المرحلة كانوا واقعيين من جهة، ومن جهة أخرى دعاة سلم لا حرب، إذ كانوا لا يفكرون في إخراج اليهود الذين لم يفدوا من الخارج.

ويختم "أبو زوزو" مقاله بالتنديد بمواقف الصهاينة الذين يريدون فلسطين لهم وحدهم، ويذكر استعدادهم للحرب منذ زمن طويل ونيتهم المبيتة في الغدر والنهب والإحتلال، ويتوعدهم بموقف عام من المسلمين والعرب ومن الجزائريين، ويكون الختام:

"وأرواح الأنبياء تنادي: لا تحملوا أحدا على إراقة الدماء في أرض النبوة" [2].

---

[1] المصدر السابق.

[2] عيون البصائر: محمد البشير الإبراهيمي. ص: 483 دار المعارف- القاهرة 1963م، (والمقالات نشرت تباعا في البصائر عامي 1947م، 1948م).

والمقال صرخة تخرج من أعماق إنسان متألم لضعف الإنسان وجبروته معا، ويدعوا إلى السلام والخير والمحبة، مما يدل على أن الجزائريين أو فريقا كبيرا منهم كان يقف ضد الحرب وضد الإستغلال والعنصرية، لأنه عاني من هذا كله تحت الإحتلال الفرنسي، ولذا كان إحساس الجزائريين بفلسطين ومأساتها- كما أشرنا- إحساسا حادا عميقا.

ويعد الشيخ "محمد البشير الإبراهيمي" في مقدمة من كتبوا عن فلسطين سلسلة من المقالات المتوالية في الجريدة الآنفة الذكر بعد عودتها سنة 1947م.

وقد ألم في مقالاته هذه بالقضية من شتى أطرافها، عبر عن المأساة بإحساس وانفعال صادقين، كما عبر عن ارتباط الشعب الجزائري بها وركز على العاطفة الدينية واعتبر أن مسؤولية الجزائريين المسلمين في هذه القضية مثل مسؤولية باقي العرب.

ويبدأ "الإبراهيمي" مقاله الأول بالنداء: "يا فلسطين، إن في قلب كل مسلم جزائري من قضيتك جروحا دامية، وفي جفن كل مسلم جزائري من محنتك عبرات هامية....." [1].

[1] المصدر السابق.

ولكنه يلتمس العذر للجزائريين إذا لم يستطيعوا أن يفعلوا الشيء الكثير لفلسطين ولم يتمكنوا من مساندة شعبها الشقيق مساندة فعالة وعذرهم واضح وهو: "الإستعمار الذي يحول بين المرء وأخيه والمرء وداره، والمسلم وقبلته.." [1].

فما تعاني منه فلسطين تعاني منه شقيقتها الجزائر، فكلتاهما ترزحان تحت وطأة الإحتلال وإن تنوعت !سماؤه واختلفت أجناسه، لكن النتيجة واحدة والرزء واحد، فالكاتب إذن يشعر بوحدة الظروف وبالمأساة العامة في كلا البلدين.

ويمثل ما بدأ به من أسلوب منمق مسجوع ونبرة حزينة تنم عن شعوره بالكارثة يستمر الكاتب في المقارنة بين حب الوطن الذي ينشأ من الإرتباط بالأرض وبين حب فلسطين التي تمثل رمزا دينيا:

"يا فلسطين إذا كان حب الأوطان من أثر الهواء والتراب والمآرب التي يقضيها الشباب، فإن هوى المسلم أن فيك أولى القبلتين وأن فيك المسجد الأقصى الذي بارك الله حوله، وأنك كنت نهاية المرحلة الأرضية وبداية المرحلة السماوية من تلك

[1] المصدر السابق، ص: 483.

المرحلة الواصلة بين السماء والأرض صعودا بعد رحلة آدم الواصلة بينهما هبوطا" [1].

وإذا كانت هذه مكانتها الدينية، فإن مكانتها التاريخية ترجع إلى الفاتحين الأولين الذين حرروها من الظلم، وجعلوها منطلقا لنشر الدين الجديد وطهروها من رجس الرومان مثلما طهروا الجزيرة قبلها من "رجس الأوثان" فهو يقابل بين فلسطين وبين مكة، ويضعها في المكان الذي ينبغي أن توضع فيه.

ويجدها الكاتب فرصة سانحة لأن يعود إلى التاريخ لامحا لا مستكهنا لأحداثه ومستخلصا العبرة، وإنما يعود إليه ليحرك النفوس والقلوب وليصل إلى النتيجة التي يريدها وهي أن فلسطين عربية وأن الإسلام حررها من الغزاة بعد أن استبيح حماها مرات عديدة على يد البابليين والرومان وغيرهم، ثم يربط بين الماضي والحاضر ويسخر من ادعاء الصهاينة، ومن وعد بلفور "المشؤوم": ما بال هذه الطائفة تدعي ماليس لها بحق، وتطوي عشرات القرون لتصل بسفاهتها وعد "موسى" بوعد "بلفور" وإن بينهما لمدا وجزرا من الأحداث، وجذبا ودفعا من الفاتحين [2].

---

[1] المصدر السابق، ص: 484.

[2] المصدر السابق.

والكاتب هنا لا يستخدم الحجج العقلية في إثبات الحق العربي في فلسطين كما حاول غيره أن يفعل وإنما يضرب الأمثلة من التاريخ ساخرا من اليهود الذين لم يدافعوا عن فلسطين فيما تعرضت له من احتلال قديم وغزوات في الماضي البعيد وإنما الذي حررها العرب: "وإنما يستحق التراث من دافع عنه وحامى دونه" [1].

فالعرب هم أحق بفلسطين منذ "عمر بن الخطاب" وأبطال "اليرموك" الذين حرروها من الرومان وكذلك لم يحررها من الصليبيين ويدفع أذاهم عنها إلا "صلاح الدين" وأبطال "حطين".

ويستمر الكاتب على هذا النسق فيعيد إلى الأذهان ما شهر به العرب من عدل استظل به الإسرائيليون: "وعاش فيها بنو إسرائيل تحت راية الإسلام وفي ظل حمايته آمنين [2] لم يتعرضوا لأي ظلم أو إكراه ولكنهم لم يتغيروا".

وما يجري في فلسطين أشبه بما وقع في التاريخ ذلك أن وعد موسى بني إسرائيل كان ردهم عليه: "وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها"، كما أن الصهاينة اليوم لم يثقوا بوعد "بلفور" حتى ضمن لهم الإنجليز أن يحتموا بقوتهم: "ولو أن السيوف

---

[1] المصدر السابق.

[2] المصدر السابق، ص: 485.

الإنجليزية أغمدت والذهب الصهيوني رجع إلى مكانه وعرضت القضية على عدل وعقل لا يستهويه بريق الذهب ولا يرهبه بريق السيوف لقال القانون: إن ثلاثة عشر قرنا كافية للتملك بحق الحيازة، وقال الدين: إن أحق الناس بمدافن الأنبياء هم الذين يؤمنون بجميع الأنبياء، وقال التاريخ: إن العرب لم ينزعوا فلسطين من اليهود، ولم يهدموا فيها دولة قائمة، ولاثلوا لهم عرشا مرفوعا، وإنما انتزعها من الرومان، فهم أحق بها من كل انسان" [1].

ثم إن الكاتب بعد أن فند حجة اليهود في زعمهم بأن فلسطين أرض الميعاد، وهي الفكرة التي بنوا عليها مؤامراتهم، وبعد أن ضرب الأمثلة وساق الحجج الشرعية والتاريخية والدينية، بين أن الصهيونية إذا كانت قد اعتمدت على المال وشراء الضمائر وعلى الإرهاب لاحتلال فلسطين، فإن دوافعها دوافع استعمارية مثل أي استعمار آخر، ولكن الصهيونية تزيد بأنها استعمار جديد في أسلوبه وفي غاياته وحججه.

بعد ذلك يعود الكاتب إلى التأكيد على حق العرب في فلسطين كما يعبر عن تعاطف الشعب الجزائري مع شقيقه الفلسطيني، وأن ما يجري هناك إنما هو امتحان للعرب جميعا:

---

[1] المصدر السابق، ص: 486 - 487.

"إن قضية فلسطين محنة امتحن الله بها ضمائركم هممكم وأموالكم ووحدتكم، وليست فلسطين لعرب فلسطين وحدهم، وإنما هي للعرب كلهم..." [1].

وهنا نلاحظ أن الكاتب يرى في المأساة محنة من الله، وهي نظرة تتماشى وفكرة الدين وموقفه كعالم من رجال الإصلاح، ولكن في الوقت نفسه يجعل من قضية فلسطين قضية عربية، وهذا الخط رأيناه لدى العقبي، بل أن هناك تعبيرا واحدا يلتقيان فيه مع غيرهما من الكتاب في تلك الفترة، وهو أن فلسطين للعرب جميعا.

ولا شك أن الإلحاح على هذه الفكرة يقصد منه استنفار العرب للذود عن فلسطين باعتبارها جزءا من الأمة العربية فلا يتركونها تقاسي الإحتلال وحدها وتجابه مصيرها بنفسها عزلاء ضعيفة، بل إن الإبراهيمي، يصرح بأن استرداد فلسطين لا يكون بالشعر والخطب وإنما "بالتصميم والحزم والإتحاد والقوة....." [2]

ويكشف في المقال الثاني عن المهزلة التي انتهت بقرار التقسيم الذي صدر بتأييد من الأمم المتحدة، واغتيلت القضية

---

[1] المصدر السابق، ص: 487.

[2] المصدر السابق، ص: 488.

وتوارى سلطان العقل والعدل وحل محله سلطان المال والمصلحة:
"وتصدع ليل فلسطين الداجي عن فجر كاذب العيان..." [1]

وإذا بأوروبا وأمريكا تسفران عن وجهيهما وتبرزان مطامعهما وتتنكران لكل القيم والمبادئ الإنسانية، ويتأكد العرب بأن "حق الشرق لا وليّ له في الغرب ولا نصير، وجاء بها هذا المجلس الذي يسمونه -زورا- مجلس الأمم المتحدة، شنعاء لا توارى من احتكار القاسطين وأحلام الطامعين.." [2]

ويبرز الكاتب التناقض بين الحق والباطل، بين أولئك الذين "يخاطبون الضمير والعقل" وهم العرب، وبين اليهود الذين "يحملون الإبهام المضلل، والكيد المبيت، والمكر الخفي، والدعاوى المقطوعة من أدلتها.." [3]، وتكون الواقعة فإذا بالموازين الأخلاقية تختل، وإذا بالتاريخ يتعرض لأكبر محنة، وإذا بالباطل يجد طريقه للنجاح، وإذا بقانون القوة يستمر كما يشهد تاريخ الأقوياء مع الضعفاء: "وأنصت التاريخ ليسجل الشهادة واستشرف الكون لينظر هل تخرق للأقوياء عادة، ونشر الأصل والدعوى وتعارضت البينة والشبهة، وأفصح الحق

---

[1] المصدر السابق، ص: 488.

[2] المصدر السابق، ص: 484.

[3] المصدر السابق، ص: 488- 489.

واتضح، ولجلج الباطل وافتضح، ولكن تلك الدول المتحدة على الباطل ألجمها الحق بحججه وأجرتها الحقيقة بوضوحها، فحكموا الإنتخاب.... وليت شعري أي موضع للإنتخاب هنا؟..."

ويستمر في السخرية من مهزلة الإنتخابات، ومن المصوتين، بل لا مجال للتصويت، وكانت النتيجة تحديا للعرب وحقهم وتاريخهم، وحتى التقسيم كان فيه محاباة لليهود على حساب العرب.

ويتوجه الكاتب بعد ذلك إلى العرب انفسهم ليفكروا في واقعهم ويبحثوا لهم عن طريق غير الأمم المتحدة، وهذا الطريق هو وحدة العرب، وفلسطين التي كانت في الماضي منطلقا للفتوحات العربية لابد أن تصبح اليوم منطلقا لتوحيد كلمة العرب، فإذا كانت في ماضيها مباركة عليهم لأمور كثيرة فإنها في حاضرها مباركة عليهم كذلك: "فما اجتمعت كلمتهم في يوم مثلما اجتمعت في يوم تقسيمك، ولقد فرقهم الإستعمار الخبيث في عهدهم الأخير، فما تنادوا إلى الإتحاد مثلما تنادوا إلى الإتحاد في سبيلك" [1].

---

[1] المصدر السابق، ص: 490.

ويمضي هكذا في خطابه لفلسطين حتى يقول: "أما والله يا فلسطين، لكأن أعداء العرب أحسنوا إليهم بتقسيمك من حيث أرادوا الإساءة..." [1]

ثم يتجه بالقول إلى العرب وقد بلغ غيظه قمته وبلغ سخطه مداه، فيصب ثورته ونقده اللاذع، ويتهمهم بأنهم لم يفعلوا شيئا لفلسطين سوى تلك الخطب والأشعار: "وانعقدت المؤتمرات وأقيمت المظاهرات، ولكن ليست هذه وسائل التحرير ونيل الحق" وإذا كان العرب قد ثاروا اليوم فإنما جاءت ثورتهم متأخرة، فالكاتب يفتح أعينهم على المأساة التي لا تتمثل في التقسيم الذي هو حلقة من حلقاتها، ولكنها بدأت منذ وعد بلفور:

"يا قوم ماظلمت فلسطين يوم قسمت ولكنها ظلت يوم بذل "بلفور" وعده للصهاينة باسم حكومته، وما منا- أهل هذا الجيل- إلا من شهد يوم الوعد، وشهد يوم التقسيم، وشهد ما بينهما، ومن عرف مصادر الأمور عرف مواردها، فانظروا - ويحكم - ماذا فعل الصهيونيون من يوم الوعد إلى يوم التقسيم، وانظروا ماذا فعلنا..." [2]

---

[1] المصدر السابق، ص: **490.**

[2] المصدر السابق، ص: **491.**

فالكاتب يدين الجيل الذي عاصر الوعد المشؤوم، وسكت أو تجاهل العواقب والنتائج، واكتفى بالقول بأنه صاحب حق ولم يبحث عن أسلوب آخر أو عن أساليب مختلفة يدافع بها عن هذا الحق، بينما الصهيونيون استخدموا كل السبل لتحقيق أغراضهم، وساعدهم العرب على ذلك بتفرقتهم وخلافهم وغفلتهم واعتمادهم على منظوم القول أو منثوره، ولم يتعضوا حين وعدهم الإنجليز بما أخلفوا بعد ذلك.

وهو بذلك يسير في الإتجاه نفسه الذي سار فيه سابقوه منذ سنوات طويلة وبينوا فيه سياسة بريطانيا وكذبها على العرب بأسلوبها المراوغ في هذه القضية وفي غيرها من القضايا التي تتعلق بالأمة العربية، وكذلك فإن الكاتب يؤنب العرب على تجاهلهم للعصر وما يتطلبه من استعداد في مختلف المجالات، بينما فعل اليهود ذلك منذ "وعد بلفور" بحيث اعتمدوا على المال والعلم والصناعة، واستند العرب على "الأقوال" والإحتجاجات التي هي سلاح الضعفاء" [1].

ويستمر في المقارنة بين العرب واليهود من شتى النواحي الأخلاقية والعددية ويذكر الفضائل التي يتحلى بها العرب ولكنها لم تفد أمام موازين جديدة ومعطيات جديدة، ثم يكرر

[1] المصدر السابق، ص: 491 - 492.

رأيه السابق في أن قرار التقسيم إنما هو "تأديب إلهي" للعرب، ولكن يرى أن صدمة كهذه تحتاجها الأمم كي "ترجها رجا وتزجها في المضايق زجا لتنفض عنها أطمار الخمر والضعة..."[1]

والعرب محتاجون كما يقول الكاتب في ختام مقاله إلى "الطراز العالي" من البطولة الذي تتسامى فيه النفوس وترتفع وتنتصر.

وفي مقال آخر بعنوان "العرب واليهود في الميزان عند الأقوياء"[2]، يناقش الكاتب نظرة الدول القوية إلى العرب وكيف أنها تختلف عن نظرتهم إلى اليهود، فقد اختبروهما وعرفوا كيف يفكر كل منهما، ووازنوا بين مصالحهم مع هؤلاء ومع أولئك ووجدوا أن كفة اليهود أرجح من كفة العرب.

على أن الكاتب - اتساقا مع رؤيته - يرى أن هؤلاء الأقوياء نسوا سلاحا قويا وهو سلاح الروح، ويشتد سخطه على الدول التي ناصرت اليهود وشاركت في قرار التقسيم ويتوعدهم: "إن العرب إذا سيموا الحيف حكموا السيف، وأنهم

---

[1] المصدر السابق، ص: 493.

[2] المصدر السابق، ص: 494.

سيأخذون حقهم بالدم الأحمر، في حين أراد اليهود استلابه منهم بالذهب الأصفر.." [1].

ومرة أخرى يبلغ به الغيظ مداه، فيتوعد الجميع بحرب طاحنة، على أن نقمته وسخريته تنصب على الحكومات والدول التي باعت فلسطين وليس لها الحق فيها، بل باعت أرضا وتاريخا وشعبا أعرق من هذه الدول المصطنعة:

"يا بخس فلسطين... أيبيعها من لايملكها، ويشتريها من لا يستحقها؟ يا هوان فلسطين، أيكون من ذوي الحق في بيعها تلك الدويلات التي لم تخلق خلقا طبيعيا وإنما خلقتها المنافسات، التي لم يبلغ الكثير منها جزءا مما بلغته فلسطين من مجد في التاريخ، وسابقة في الحضارة، وفي نفع البشرية، بل لم تبلغ مجتمعة ما بلغته فلسطين من احتضان النبوات واستنباط الشرائع والعلوم والحكم.." [2].

وفي نهاية المقال يسجل الكاتب - شأنه في مقالاته الكثيرة - بأن فلسطين وديعة بين أيدي العرب، ويدعوهم إلى التضحية والنضال، وهي سمة من سمات المقال الأدبي الإصلاحي في هذه القضية وغيرها من القضايا الوطنية والقومية.

---

[1] المصدر السابق، ص: 495.

[2] المصدر السابق، ص: 497.

أما في المقال الرابع من هذه السلسلة والذي وضع له الكاتب عنوان: "ماذا يريد لها وماذا يريدون" [1] فهو يوازن بين ما يريد العرب لفلسطين وما يريده اليهود لها، ويفاضل بين مطامح هؤلاء وبين أحلام وأماني أولئك، ويعدد مطامح اليهود التوسعية في أن تصبح أرض النبوات نقطة انطلاق نحو تحقيق حلمهم في اسرائيل الكبرى.

وما من شك في أن "الإبراهيمي" مثل غيره من الكتاب الجزائريين قد وعى دور انجلترا في المؤامرة ضد فلسطين، لذلك فإنه يعقد مقالا خاصا بهذا الموضوع: "الإنجليز حلقة الشر المفرغة" [2]، بأسلوب أكثر عنفا وأشد هجوما لأن سياسة الإنجليز متحيرة ظالمة، ولأنهم هم سبب الكارثة، فهم في رأي الكاتب أشد سوءا من الشيطان، ويقارن بينهم وبينه، وتكون المقارنة طريفة حين يسوق التشابه والمفارقة العجيبة، فإذا كان الشيطان يمكن أن يطرد بالتعويذ وبالإيمان ويقظة الشعور، فإن أسلوب طرد الإنجليز يحتاج إلى وسائل مادية لامعنوية: "أيها العرب: إن الإنجليز هم أول الشر ووسطه وآخره، وإنهم كالشيطان منهم يبتدئ الشر وإليهم ينتهي، وإنهم ليزيدون على

---

[1] المصدر السابق، ص: 501.

[2] المصدر السابق، ص: 501.

الشيطان بأن همزاتهم صور مجسمة تؤلم وتؤذي وتقتل، وجنادل مسمومة تهشم وتحطم وتخرب، لا لمة تلم ثم تنجلي، وطائف يمس ثم يخنس ووسوسة تلابس ثم تفارق، ويزيدون عليه بأنهم لا يطردون بالإستعاذة وتذكر القلب ويقظة الشواعر، وإنما يطردون بما يطرد به اللص الوقح من الصفع والدفع والإحجار والمدر..." [1].

ويستمر على هذا النحو من المقارنة الساخرة اللاذعة والتهكم المر والهجاء العنيف بهذه الصور البارعة التي يندر أن نجد لها مثيلا فيما كتب في المقارنة بين الإنسان من جنس البشر وبين الشيطان من جنس الجن، بين صنفين يختلفان في العنصر ويلتقيان في الغاية والهدف، حتى أن الكاتب يجسد لنا صورة أخرى للشيطان أشد بشاعة من التي يعرفها الناس أو يقرؤونها حول الشيطان، وقد ساق هذه الصورة للإنجليز لا من أجل تصوير موقفهم ودورهم في المؤامرة فحسب ولكن لينبه العرب الذين اغتروا بهم وبنعومة وعودهم ومعسول كلامهم، وهو ما فعل ذلك إلا لأنه عرف ضعف العرب وأدرك مدى خضوعهم لهم ولسياستهم كما عرف روح الذل في حكامهم: "وعجم

[1] المصدر السابق، ص: 501.

أمراؤكم فوجد أكثرهم من ذلك الصنف الذي تلين أنابيبه للعاجم، وتدين عروبته للأعاجم" [1].

والكاتب يرى أن هذا الخضوع الذي أظهره الحكام العرب سببه ظنهم أنهم فقراء والإنجليز أغنياء، وهذا وهم، فغناهم هو من عرق العرب وأموالهم وخيراتهم، وينبه إلى أن العرب لو تفطنوا إلى ذلك فإن الإنجليز سيظهر فقرهم ويصبح الأسد البريطاني مثل الهر الذي انحسر شعره فظهر هزاله، وهي صورة طريفة أيضا للإستعمار الذي يمتص خيرات الشعوب فيظهر قويا ولكن قوته جاءت من جهل هذه الشعوب: "فلو أن كل أمة استرجعت شعراتها من تلك اللبدة التي تكمن وراءها الرهبة، لأمسى الأسد هرا مجرود العنق، معروق الصدر، بادي الهزال والسلال" [2].

ويكون الكاتب صريحا في تعريفه للعرب، إذ يحلل أوضاع العالم العربي في تلك الفترة، فالبرغم من وجود "الجامعة العربية" التي تظاهر الإستعمار الإنجليزي بتأييده لها، فإنه أمرا آخر يغرق به العرب في المستقبل كما فعل في الماضي، فهناك قضايا كثيرة في العالم العربي مازال الإنجليز يمسكون

[1] المصدر السابق، ص: 503.

[2] المصدر السابق، ص: 504.

بخيوطها ، لذلك فإن الكاتب يلح على الوحدة الحقيقية ويقول بأنه لكي تصبح "جامعة الدول العربية" أداة للوحدة فلابد أن تسند بجامعة تبنى على إرادة الشعوب: "إنكم لا تردون كيدهم بقوة جامعة الدول العربية حتى تسندوها بجامعة الشعوب العربية، فحركوا في وجوههم تلك الكتلة متراصة يرهبوا ثم يذهبوا!.." [1]

ونظرة الكاتب هنا للوحدة العربية الحقيقية نظرة سليمة يؤيدها التاريخ والواقع ويؤكدها تطور الأحداث.

ومع أنه فيما سبق قد أطنب كثيرا في بيان مسؤولية العرب تجاه فلسطين فإنه في مقال آخر بعنوان "واجباتها على العرب" [2] يعبر عن مشاعره ويبين الدوافع التي دفعته للعناية بقضية فلسطين ويشرح لماذا تؤرقه هذه القضية....

ويجيب بأنه يعتبر نفسه فلسطينيا بحكم عروبته وإسلامه، ذلك أن عروبته تملي عليه أن يجند قلمه للدفاع عن فلسطين وأهلها مثل ما يمليه عليه إسلامه، وهو يبرر ذلك بأمور كثيرة يستمدها من الإنتماء ومن العقيدة والتاريخ: "كاتب هذه السطور عربي يعتز بعروبته إلى حد الغلو، ويعتدّ بها إلى حد

---

[1] المصدر السابق، ص: 505.

[2] المصدر السابق، ص: 505.

التعصب ويفخر بأبوة العرب له إلى حد الإنتخاء، ما يود أن له بذلك كله جميع ما يفخر به الفاخرون من أحساب، فإذا أدار الضمائر في هذه المقالات على منهج المتكلم وقال: أنا، نحن، وقلنا، وفعلنا ولا نرضى فهو حقيق بذلك...." [1].

فالإبراهيمي بعد أن أوضح انتماءه وأن الضمائر مهما اختلفت وصفا للفرد أو الجماعة، ففي النهاية هي شيء واحد، أنه عربي، ولذلك فمن حقه أن يعبر عن فلسطين وعن أبنائها فهم منهم "... وإذا حشر نفسه في العصبة الذائدة عن فلسطين وأشركها في العصبية الغالية لفلسطين، فليس بمدفوع عن ذلك، لأنه عربي أولا، ومسلم ثانيا، وفلسطيني بحكم العروبة والإسلام ثالثا، فله بعروبته شرك في فلسطين من يوم طلعت هوادي خيول أجداده على البقاء والمشارف، وتصاهلت جيادهم باليرموك، تحمل الموت الزؤام للأروام، وله بإسلامه عهد لفلسطين من يوم اختارها الباري للعروج إلى السماء ذات البروج، وله إلى فلسطين نسبة من يوم قال الناس، "مسجد عمر"، بل من يوم قالوا "غزة هاشم"، فإذا لم يقم بالحق ولم يف بالعهد وسم بالعقوق لوطنه الأكبر، ووصم بالخيانة لدينه الجامع.." [2].

---

[1] المصدر السابق، ص: 505.

[2] المصدر السابق، ص: 506.

ولا ينسى الكاتب بعد ذلك أن يؤكد ما سبق أن قاله وهو الرابطة القوية التي تربط بين الجزائر وفلسطين كجزأين من أمة واحدة، وهو بهذا يرد على مزاعم فرنسا في ذلك الحين من أن الجزائر جزء منها، والإبراهيمي يستغل المناسبة بذكاء ليضرب على هذا الوتر، مؤكدا على عروبة الجزائر وانتمائها القومي، الأمر الذي يفسر انفعالها لما يجري في فلسطين: "وهذا الوطن الذي نبتنا في ثراه، وغذينا بثمراته، وسقينا عذبه ونميره، وتقلبنا بين جباله وسهوله في النضرة والنعيم، وأودعنا فيه الذخائر الغالية من رفات الأجداد، وطن عربي المنتسب، يشهد بذلك القلم واللسان، والأسماء والأفعال، وتشهد بذلك التواريخ المكتوبة، والأخبار غير المكذوبة، فإذا تظلم وتألم لفلسطين، وامتعض وارتمض للعدوان عليها، وإذا نهض يواسي ويعين ويسعف ويسعد فهو حقيق بذلك، وإن ذلك لبعض حق فلسطين عليه.." [1].

فالكاتب بهذه المقدمة الطويلة لمقاله أراد أن يمهد للموضوع الأصلي وهو واجب فلسطين على العرب، ويرفض أن يكتفوا بالتفجع والتوجع والتظلم والتألم والأقوال، وإنما يطالب بأشياء أخرى، يطالب بألوان من المساعدة والتأييد أكثر حسما

---

[1] عنوان المقال هو: "أما عرب الشمال الإفريقي...." المصدر السابق، ص: 511.

وفعالية، كما يطالب بالتصميم على النضال حتى النصر، والحسم بدل التردد ووحدة الرأي بين القادة ونبذ الخلافات، ويحمل الكتاب والشعراء المسؤولية كما حملها للحكومات والشعوب، ويطلب منهم أن يبثوا الوعي والحماس في النفوس وأن يثيروا الهمم ويفجروا الطاقات في الجماهير.

ويختم بأن العرب لو وجدوا هذا كله لأصبح لهم شأن في الغرب غير ما هو عليه، وفي المجتمع العالمي عامة.[1]

وقد عبر الكاتب في مقال آخر عن عروبة المغرب العربي وعن تجاوب أبنائه مع عرب فلسطين، ولكنه يشرح كيف أن وضعهم يختلف عن وضع عرب المشرق العربي، إذ أن ظروفهم صعبة تحت الإحتلال الفرنسي الذي يشجع اليهود ويتغاضى عن أعمالهم، فإذا جمعوا الأموال فإنه لا يحرك ساكنا، وإذا فتحوا باب التدريب على السلاح في المعسكرات خاصة بهم تجاهل ذلك، بينما لو فعل العرب في الجزائر مثل هذا "لقامت قيامة الإستعمار الفرنسي..."[2].

---

[1] المصدر السابق، ص: 511.

[2] أي يعيشون تحت الحصار والمراقبة الشديدة في ظل الإستعمار والكاتب يشير بهذا إلى الظلام الذي كان يعيش فيه الجزائريون في ذلك الوقت.

ولقد سجل الكاتب المفارقة العجيبة التي عاصرها حين كان الجزائريون يتخفون ليهاجروا إلى فلسطين ويشاركوا في الحرب ضد المحتلين فيقال لهم أنهم "فرنسيون" أو "مدجنون"[1] وحتى جمع الأموال لفلسطين كان من المحرمات عليهم.

وتملأ الحسرة نفسه وهو يشاهد هذا التواطؤ من طرف السلطات الإستعمارية الفرنسية ومن أوروبا كلها ضد الجزائر والعرب، ويظهرون روحا عنصرية مالها نظير في حين يتهمون العرب بالعنصرية ويتكهن بمصير العنصريين أينما كانوا ثم يسخر من "العالم المتحضر" الذي أصبح يهوديا أكثر من اليهود أنفسهم: "وآمنا بأن السحر الذي أبطله موسى قد أحياه أشياعه ولكن بغير أدواته، أبطله بعصا الخشب وأحيوه بحبال الذهب..." [2].

وتثور فيه نخوة العربي أو فريسته فيدعوا الأعداء، أعداء العرب إلى المبارزة، بحيث يكون جيش الصهاينة أكثر من جيش العرب بمقدار الثلث بشرط واحد هو التكافؤ في السلاح، فإذا انتصر الأعداء سلم العرب بزعمهم في فلسطين،

---

[1] المصدر السابق، ص: 512.

[2] المصدر السابق، ص: 513.

وإذا انتصر العرب تبقى فلسطين عربية كما كانت "تظل اليهود الأصلاء بالرعاية والحماية وتجلي اليهود الدخلاء..." [1].

وهذه بلا شك نظرة ساذجة نادى بها الأمير عبد القادر أيام حربه ضد الإحتلال الفرنسي حين طلب من القادة الفرنسيين مبارزته وينتهي الأمر، ولكن الإبراهيمي في الواقع نادى بهذا الحل تعبيرا عن غيظه وتحديا للأعداء وردا على تكتلهم ضد العرب.

يؤكد هذا خروجه عن الموضوع الذي بدأ به المقال ليعود إليه بقوله: "ونرجع إلى عرب الشمال الإفريقي.." [2] فقد ابتعد عن الموضوع لأن الأحداث كانت تضغط عليه وعلى نفسه فالتجأ إلى الحل الفروسي بدل المناقشة والتحليل، ولكنه عاد إلى موضوعه ليبين أن عرب هذه المنطقة يمكنهم أن يساعدوا عرب فلسطين بالمال، أما المشاركة في الحرب بالرجال فإن هذا مالا تتيحه السلطة الإستعمارية للعرب بينما تمنحه لليهود [3].

---

[1] المصدر السابق، ص: 513.

[2] المصدر السابق، ص: 514 - 515.

[3] المصدر السابق، ص: 516 - 517.

وفي مقاله الآخر "قيمة عواطف المسلمين في نظر فرنسا" نجد الكاتب يتعرض لموقف فرنسا من قضية فلسطين وبوجه خاص موقفها من الجزائريين في هذه القضية.

وينقد تأييدها للتقسيم وأنها لم تراع عواطف الجزائريين، ويعزو ذلك إلى حقد استعماري، وقبل هذا، يعزوه إلى سيطرة اليهود في فرنسا: "نحن لا نجهل تغلغل الصهيونية في فرنسا، ولا نجهل تحكم اليهود في مرافقها الحيوية وفي جهازها الحكومي، بل في كيانها الذي هي به أمة، بل نعدّ فرنسا ومستعمراتها كلها مستعمرة واحدة يهودية، بل نستغرب مطالبة اليهود بوطن قومي، مع أن فرنسا كلها وطن قومي لهم...." [1].

وهذا الحكم لم يصدر من الكاتب عن تجن أو عن نظرة ضيقة أو حماس قومي وإنما عبر عن واقع كانت الحركة الصهيونية تحتل فيه مكانا بارزا في السياسة والإعلام والإقتصاد الفرنسي، كما كانت ومازالت تهيمن على هذه المجالات كلها في بلدان أخرى حتى اليوم، ولعل أمريكا تمثل قمة هذا النفوذ والسيطرة في عصرنا هذا، أما في ذلك الوقت فإن الكاتب يتحدث عن فرنسا لأنها كانت تستعمر الجزائر والمغرب العربي كله، ويكرر ما ذكره سابقا من أن فرنسا لم

---

[1] المصدر السابق، ص: 517.

تفكر لا في عواطف عرب هذه المنطقة ولا في مصالحها معهم، وانساقت وراء شعورها الخاص أو تحت تأثير الصهيونية وأعلنت عن نواياها الممالئة للصهيونية وتحت تأثير أمريكا، "ودولاتها" مع أن فرنسا تردد باستمرار بأنها لا تعادي المسلمين، فهي تعلن أمرا وتفعل ضده [1].

ونحس بالمرارة في نفس الكاتب من هذا الموقف فيعبر عن يأسه وهو شعور يحسه الجزائريون في تلك الفترة ويدفعهم إلى الغضب من هذه التصرفات غير العادلة، ولما وقعت الكارثة وخسر العرب المعركة عام 1948م، ازداد حزن الجزائريين وازدادت المرارة في نفوسهم، لأن هزيمة العرب تصيبهم في الصميم وتشعرهم بالدونية والإحتقار سواء من المعمرين أو من اليهود الصهاينة، ويأتي الشعر ليعبر عن هذا الحزن وعن هذه المرارة أكثر من النثر لأنه أسرع في التعبير عن الإنفعال في تلك اللحظة التي عصفت بالعرب جميعا لا بأهل فلسطين فحسب، ولكن الإبراهيمي ينفعل بقوة لهذه المحنة فيكتب فيها خواطر تشبه الشعر يصور بها ما لحق الفلسطينيين من حيف وتشرد، ويستغل مناسبة عيد الأضحى فيتفجر قلمه ويهاجم هؤلاء الذين يفرحون في العيد وفلسطين يغتالها اليهود:

[1] المصدر السابق، ص: 518.

"النفوس حزينة، واليوم يوم الزينة، فماذا نصنع وإخواننا مشردون، فهل نحن من الرحمة والعطف مجردون؟

تتقاضانا العادة أن نفرح في العيد ونبتهج، وأن نتبادل التهاني، وأن نطرح الهموم وأن نتهادى البشائر، وتتقاضانا فلسطين أن نحزن لمحنتها ونغتم، ونعنى بقضيتها ونهتم" [1].

بمثل هذه الصرخة يعبر الإبراهيمي عن اللوعة والأسى للنكبة التي شردت الشعب العربي الفلسطيني، ويطالب العرب بالعمل لا بأن ينحروا الذبائح:

"أيها العرب: لا عيد، حتى تنفذوا من صهيون الوعيد، وتنجزوا لفلسطين المواعيد، ولا نحر، حتى تقذفوا بصهيون في البحر" [2].

ويصور وقع الكارثة عليه حتى ألجمت نفسه عن الكلام وقلمه عن الكتابة: "إن بين جنبي ألما يتنزى، وإن في جوانحي نارا تتلظى، وإن بين أناملي قلما سمته أن يجري فجمع وأن يسمح

---

[1] المصدر السابق، ص: 518.

[2] المصدر السابق، ص: 518.

فما سمح، وإن في ذهني معاني أنحى عليها الهم فتهافتت، وإن على لساني كلمات حبسها الغم فتخافتت.." [1].

وفي هذا تجسيد لما حل به وبالعرب أجمعين، فقد رسم صورة للهلع الذي استبد به، بل بنفوس الجزائريين في تلك المحنة، وزاد من حدة هذا الإحساس أن الجزائري كان يمنع حتى من إظهار مشاعره وتعاطفه نحو أشقائه، لأنه تحت سيطرة استعمار أشد قسوة من أنواع الإستعمار الأخرى، فلا يترك فرصة للناس لمجرد التنفيس عن حرمانهم فهم يختنقون ويموتون غيظا وكمدا، وهذا ما عبر عنه الكاتب في هذه القطعة التي اختار كلماتها كما اختار لها السجع الذي يناسبها.

ويستغل أسلوب السجع في قطعة أخرى أو في سجع آخر من سلسلة كتبها في تلك الفترة أيضا [2]، وإذا كانت أفكارها قد سبق أن عبر عنها في مقالاته، فإنه من حيث الأسلوب قد أعطاها شكلا جديدا أكثر تأثيرا لأنه أحيا به السجع القدماء وطريقتهم في التصوير والتهويل والمبالغة وإظهار قدرتهم على البيان واللغة يقول: "ثار للغرب في فلسطين، لم تنبت عليه شجرة

---

[1] هذه السلسلة أطلق عليها الإبراهيمي "سجع الكهان" وكان يرفعها بإمضاء "كاهن الحي"، انظر المصدر السابق من : 587- 604

[2] المصدر السابق، ص: 601 - 602.

من يقين، وشياطين تنزو للإغراء إثر شياطين، ويوم في أعناقكم بيوم حطين تنسيه غريزة الماء والطين، فتذكره بعزة الجنس والدين، أنسيتم يوم تنادوا مصبحين، وتعادوا مسلحين، وتصادوا مصطلحين وتعاووا من كل حدب وتهاووا من كل صوب، ذؤبان، تقدمها رهبان، وغربان، تظللها صلبان، بنفوس من الحقد ثائرة، وقلوب بالبغضاء فائرة، تنازعكم إرث الإسلام، ومعراج عليه السلام؟ أنسيتم ما فعله صلاح الدين بالمعتدين" [1]؟

ويستمر على هذه الوتيرة في تقريع العرب ولومهم، معللا سبب تكالب الغرب واتحاده ضدهم، وكذلك سبب انكسار العرب وهزيمتهم وانتصار اليهود وتحقيقهم لهدفهم، فهؤلاء اعتمدوا على اليقظة وحسن الإستعداد واستخدام العلم والإتحاد والتكاتف، وكذا القيادة الموحدة، أما العرب فقد اعتمدوا على النقيض: "جاؤوكم على قلب رجل واحد، وجئتموهم بقلوب متنافرة، قادهم إلى الظفر قائد واحد ورأي جميع، وقادكم إلى العار قواد متشاكسون ورأي شتيت، ما أضاع السيادة إلا توزيع القيادة، اجتمعوا وافترقتم فسلموا واحترقتم..." [2].

---

[1] المصدر السابق، ص: 602.

[2] المصدر السابق، ص: 602.

بهذه الجمل القصيرة الموجزة حلل الكاتب أسباب الإنتصار والهزيمة، بل لخص بها واقع العرب عام 1948م، ويذكرنا حديثه هذا بالعبارة التي قالها المفكر العربي المعروف "ساطع الحصري" حين سئل في ذلك الحين: كيف هزم العرب وكانوا سبعة جيوش؟

فأجاب: "لقد هزموا لأنهم كانوا سبعة جيوش".

وكلا الكاتبين كان هدفهما التأثير وإيقاظ النفوس والأذهان على الواقع المرير، ويلخص الإبراهيمي بعد ذلك في مقاله موقف العرب بعد تلك المحنة بقوله: "أيها العرب: بعضكم أبرار، وجلكم أشرار، وكلكم أغرار.." [1].

فالكاتب حانق ساخط على العرب فهو يصدر في حكمه هذا الذي قد يبدو مبالغا فيه، عن أزمة روحية وشعور بالذل مما لحقه ولحق العرب جميعا من عار وهزيمة، ولكن دون شك كان صادقا في التعبير عن هذا الشعور، ولم أقرأ نثرا جميلا يصور الكارثة لغير "الإبراهيمي" وإن قرأنا شعرا جيدا عن الجرح العميق والألم الممض مما لحق فلسطين على يد الإستعمار والصهيونية من اغتيال لها وللحق والعدل، فهي مثل فريد في التاريخ يقوم شاهدا على أن القوة يمكن أن تنتصر إذا لم تجد

---

[1] كان يكتب في البصائر تحت عنوان ثابت هو "منبر السياسة".

إرادة أقوى منها، بل أن هذه القضية تمثل خرقا لناموس الكون، لذلك فإن بعض الكتاب الجزائريين اندهشوا لما حدث، ومن ثمة أصيبوا بصدمة عنيفة زلزلت نفوسهم، فكتبوا نثرا يرقى إلى درجة الشعر في بعض أساليبه من حيث حدة الإنفعال وقوة التعبير، مع أن هناك كتابا آخرين- وفي هذه الفترة بالذات- لم تطغ عواطفهم على أذهانهم، فاستخدموا النثر لبيان ظروف القضية والملابسات التي أحاطت بها وبرهنوا على آرائهم بالمنطق والعقل، ويمكن أن نشير إلى مقالات كثيرة في هذا المجال بأقلام كتاب ارتبطوا بالحركة السياسية الوطنية وخاصة كتاب جريدة "المغرب العربي" التي تساند "حركة انتصار الحريات الديمقراطية" ففيها مقالات ضافية تهتم بالأحداث لا بالأسلوب، وتعني بالدوافع والأسباب والظروف والصراعات السياسية والإقتصادية، بصرف النظر عن الصياغة أو جمال التعبير، الأمر الذي يختلف عن مقالات الإصلاحيين في هذا المجال باستثناء "أحمد توفيق المدني" الذي كان يميل إلى أسلوب التحليل أكثر من أسلوب الإنشاء ووصف الأحداث وتصويرها [1].

---

[1] المغرب العربي عدد 43 سنة 1949.

أما كتاب جريدة "المغرب العربي" كما سبق القول، فقد تابعوا القضية بعد الحرب العالمية الثانية، وركزوا على مختلف الجوانب لقضية فلسطين عربيا وعالميا، ومن العناوين ندرك اتجاه هؤلاء الكتاب مثل: "دولة المصالح تبني هياكلها على جماجم العرب بقلسطين..." [1].

وقد كانت هذه المقالات تتابع ما يجري على الساحة الجزائرية والأجنبية، وتتقصى أخبار اليهود في الجزائر وتكشف مواقفهم وصحفهم السرية التي "تحرض الفرنسيين على العرب" [2].

كما كانت تتابع أعمال اليهود في الخارج، مثل شرائهم للأسلحة.

وبالطبع فإن الكتاب في هذه الجريدة كانوا يعنون بالعلاقات بين العرب واليهود، وخاصة ما فعله الجزائريون تجاههم ومعاملتهم لهم [3].

---

[1] انظر: ايضا اعداد 44 سنة 1949، 24 - 27 سنة 1948.

[2] المغرب العربي: عدد 15 سنة 1947.

[3] المغرب العربي: 26 ديسمبر 1947 (كان صاحب المقالات حول فلسطين يوقع بإمضاء "سياسي مستقل" ولعله الزاهري الذي كان رئيس تحرير الجريدة في تلك المرحلة.

ونلاحظ في هذه الجريدة عناية بنقل الأحداث، خاصة عندما حاول كثير من الشباب من الجزائر والمغرب أن يلتحقوا بفلسطين فألقت عليهم القبض انجلترا وفرنسا:

"وجميع هؤلاء الشبان الجزائريين والمراكشيين كانوا في طريقهم إلى مصر، حيث ينوي أكثرهم الإلتحاق بمجموع المقاتلين العرب الذين يستعدون لخوض غمار الجهاد لإنقاذ فلسطين، وينوي بعضهم أن يلتحق بمعاهد القاهرة يطلبون العلم فيها.."[1].

وكانت بعض المقالات تمضي باسم مستعار خوفا من السلطة الفرنسية لأن الجريدة السياسية، ومع هذا فهناك مقالات أخرى تبدو أدبية إلى حد ما وتعبر عن شعور صاحبها وأسلوبه الخاص وعاطفته القوية وعنايته بالصياغة والصور المعبرة.

ومهما يكن من أمر فإن كتاب المقال الأدبي والإصلاحي والسياسي، قد برهنوا على وعي بقضية فلسطين سواء بعد حرب 1948م، أو قبلها وسواء فيما يتعلق بالصراعات السياسية أو غيرها أو فيما يخص مسؤولية العرب نحوها ونحو عروبة أبنائها،

---

[1] "الشعب" 29.22 ديسمبر 1962.

ويمكن التأريخ للقضية منذ وقت مبكر وحتى بعد النكبة من خلال نثر الكتاب ومقالاتهم.

وحين قامت ثورة نوفمبر 1954م، شغل الجزائريون بها وبالواقع الوطني ولكنهم لم ينسوا فلسطين في خواطرهم ومشاعرهم، بل كانوا يفكرون في اليوم الذي يتاح لهم فيه بعد التحرير أن يساهموا فيها وأن يعوضوا ما حرمهم الإستعمار من القيام به، كذلك فإن معظم الصحف بل كلها قد توقفت بعد الثورة بقليل ولم يبق سوى جريدة "المجاهد" الناطقة بلسان جيش التحرير الوطني، ولكن حرب التحرير بالجزائر كان ينظر إليها باعتبارها طريقل لتحرير فلسطين ودعما للنضال العربي عامة، ولذلك حين استقلت الجزائر عادت فلسطين لتحتل مكانها في كتابات الجزائريين شعرا ونثرا، لا بأسلوب العاطفة وحدها، بل بأسلوب فيه عمق ووعي بما حدث وبتاريخ القضية وتطوراتها، وإدراك لما يجب أن يسلكه العرب من سبل لاسترداد الأرض السليبة وعودتها لأصحابها الشرعيين، وهكذا عاد الكتاب لمتابعة ما انقطع أثناء الثورة فيما يتعلق بقضية فلسطين وبعد أن تأسست صحف ومجلات وطنية، فحين ظهرت جريدة "الشعب" عقب الإستقلال بدأت تنشر الدراسات المفصلة عن قضية فلسطين والمقالات التي تتناولها من الناحية التاريخية

والسياسية والقومية، [1] بل كانت تنشر مقالات لكتاب عرب من المشرق عالجوا القضية من زوايا مختلفة [2].

كذلك فإن "المجاهد" الأسبوعية قد عنيت عناية خاصة بدور الصهيونية في المؤامرة، وبالحديث المفصل عن فلسطين منذ القديم وعرض الصراع بين العرب واليهود والحديث عن المقاومة الفلسطينية، كما اهتم كتاب المقالات بالشخصيات التي لعبت دورا بارزا في أحداث فلسطين المعاصرة، عربا كانوا أو أجانب [3].

وحين وقعت نكسة 1967 أو ما اصطلح على تسميته بالنكسة، اهتزت لها النفوس وأحدثت شرخا كبيرا في وجدان الكتاب والشعب معا، ومن ثمة رأينا تيارا متواصلا من المقالات والقصائد والخواطر والدراسات المتنوعة التي تعالج دور الأدب في المعركة وتهتم بكل ما له صلة بالموضوع من قريب أو بعيد.

وعاد الكتاب إلى الحديث عن تقسيم فلسطين وعن وعد "بلفور"، ثم تحليل عوامل الهزيمة إلى غير ذلك من الأمور انتي لها

---

[1] "الشعب" 29 ديسمبر 1962.

[2] المجاسد الأسبوعي أعداد 2 جانفي 1966: 18 فيفري، 10 سبتمبر 1964 و22-15 اوت، 5، 19 سبتمبر 1965م.

[3] "الشعب" 14.11.10.9.4.3 يوليو 1967.

علاقة مباشرة أو غير مباشرة بالكارثة [1]. وبالرجوع إلى الصحف والمجلات ندرك كيف أن الكتاب عاشوا القضية العربية في أعماقهم وضمائرهم، وبينما ركز الكتاب قبل الإستقلال على انجلترا واحتضانها لليهود وتأييدها لهم، إتجه كتاب ما بعد الإستقلال إلى التركيز على دور أمريكا في العدوان على العرب ومساندتها للصهيونية بعد أن أدركوا حقيقة الإستعمار الإمبريالي الأمريكي ونواياه تجاه العرب عامة [2].

وقد برزت أسماء كثيرة بعد الإستقلال كرست كثيرا من كتاباتها لقضية فلسطين مثل: "محمد الميلي" و"محمد العربي ولد خليفة" "م. دين" و"محمد بو عروج" و"محمد مصايف" و"عمر البرناوي" "وغلام الله ومحمد فضيل" و"محمد الصغير الأخضري" و"محمد الهواري" "عبد المجيد حروز" وغيرهم من الكتاب الذين عالجوا القضية من شتى جوانبها.

ولعل من المجلات التي اهتمت اهتماما خاصا بقضية فلسطين، من الناحية العسكرية والحربية، مجلة "الجيش" التي كانت تنشر دراسات عميقة حول فلسطين وقضية الشرق

---

[1] انظر مجلة القبس ماي نوفمبر 1969م.

[2] طبعت مع مقالات أخرى في كتاب "الطباعات" م. الدين مطبعة البعث قسنطينة الجزائر 1971م، انظر الجزء الثاني، ص: 616 - 854.

الأوسط وتعلق على الأحداث بعمق وفهم كبير للعصر، وصراع العرب مع القوى الإستعمارية كما نشرت فيها سلسلة من المقالات حول الموضوع بإمضاء "م. دين" نشر بعضها بالمجاهد أيضا وهي مقالات حادة موجزة تعبر عن موقف الكاتب من قضية فلسطين والشرق الأوسط بوجه عام، وتعرض لموقف الجزائر من هذه القضية، وقد اختار لها أسلوب الصراحة الذي لا يجامل أو يرائي بل يشير إلى الداء والدواء معا [1].

وهناك سلسلة أخرى كتبها "محمد مصايف" حلل فيها القضبة وموقف الجزائر منها ورؤيتها للمستقبل، وفيها إشادة بطلائع الكفاح المسلح الفلسطيني وتركيز على المقاتلين في الجبهة.

ولا شك أن أساليب الكتاب قد تنوعت واختلفت من حيث الصياغة ومن حيث عنف الإنفعال أو هدوؤه أو من حيث الإيجاز أو التركيز أو التطويل أو الأطناب، ويمكن أن نضرب مثالا للمقالات الموجزة التي تتفجر عاطفة وحماسا وأسى أيضا بمقال "الأسبوع الأسود" [2] بقلم، م. دين، ففي بدايته نشعر بعمق المأساة في نفسه وإحساسه بالمرارة والثورة:

---

[1] انطباعات، ص: 637.

[2] المصدر السابق: ص 637.

"بكل الآمال التي تحطمت في نفسي، بكل المرارة التي تجرعتها مع اختصار الأسبوع الأسود من جوان، بكل العواطف التي تعربد في أعماقي، مواطنا من هذا البلد الشجاع المؤمن الصامد، ممزق النفس بين ذهول الصدمة وانفعالات التصميم على رفض الهزيمة" [1].

ثم يدخل في التساؤلات عما حدث وكيف؟ ولماذا؟ ويحاول الإجابة على هذين السؤالين، وبهذه الإجابة تتضح الحقيقة ويظهر تواطؤ الإستعمار المستمر ضد البلاد العربية، كما يظهر أيضا ضعف العرب واعتمادهم على الكلام بدل الفعل، ويعرض إلى نوع من التفصيل للماضي والحاضر في أسلوب مركز، بالرغم من أن المقال يبدو طويلا بالقياس إلى مقالاته الأخرى في الموضوع.

أما النموذج الثاني من المقالات الطويلة فيتمثل فيما كتبه غيره مثل محمد مصايف في سلسلته التي كتبها حول فلسطين والنكسة وعرض فيها لآثار الهزيمة نفسيا وسياسيا وعسكريا، كما تتبع النضال الفلسطيني وعلق على معركة الكرامة وما ترمز إليه، وربط بين كفاح فلسطين والجزائر وموقف الجزائريين من القضية ورأيهم في حلها.

---

[1] انظر: مثلا الشعب 19 يونيو و22 ديسمبر 1969م، و27 مارس اكتوبر 1970م.

وأسلوب الكاتب يميل إلى الوضوح والبساطة وإلى هدوء التعبير، ولكن حين يكون الحديث عن المواطنين الفلسطينيين وما يتعرضون له من قمع وإرهاب على أيدي الصهاينة يميل إلى الإنفعال والحماسة:

"فكم من امرأة دنست كرامتها، وفقدت الكفيل والأمل في حياة عادية، وكم من شاب شاخ قبل الأوان فأمسى ضحية المرض والعري والبطالة، وكم من صبي لم يكد يرى الوجود حتى حكم عليه بالسقم والمرض والجهل والضياع...." [1].

ومن غير شك فإن الحديث عن المهاجرين الفلسطينيين يتطلب أسلوبا كهذا، بل أن الكاتب ينساق وراء عاطفته القومية فيظهر ألمه وحزنه لما يجري في فلسطين، وهذه سمة في مقالات الجزائريين التي عرضت لما حل بعرب فلسطين من عذاب وتقتيل، في حين أن المقالات الأخرى التي تناقش القضية وظروفها لا تظهر فيها بصورة قوية عواطف الكاتب ومشاعره.

والواقع أم من الصعب، كما أشرت، أن أعرض ما كتبه الجزائريون من نثر حول هذه القضية، بل يصعب حتى مجرد الإشارة إلى مقالاتهم، فالمجال لا يسمح بذلك، إلى جانب أن عملا كهذا يحتاج إلى دراسة مفصلة لأساليب الكتاب وآرائهم

---

[1] الشعب: 22 ديسمبر 1969.

الخصبة تجاه القضية وتنوع ثقافتهم وتجاربهم الفكرية والسياسية، وإنما أردت فقط أن أرسم في هذا البحث خطوطا عريضة لمسار النثر الجزائري في هذا الموضوع.

على أنه يمكننا أن نسجل في الختام النتائج التالية:

أولا: إن كتاب ما قبل الإستقلال غلبت عليهم النظرة الدينية للقضية، بينما بعد الإستقلال غلبت عليهم النظرة القومية لظروف كثيرة، بعضها يتصل بثقافة الكتاب واتجاهاتهم الفكرية، وبعضها يرتبط بالمراحل التي مرت بها الجزائر وتأثر الكتاب بهذه المرحلة أو تلك، وبعضها يعود إلى تطور الأحداث نفسها وتطور الأفكار والمفاهيم.

فالفكر الديني سيطر على الكتاب في المرحلة الأولى نتيجة أنهم كانوا إصلاحيين ينتمون إلى الفكر الديني الإصلاحي، في حين أن كتاب المرحلة الثانية تأثروا بالفكر القومي الوحدوي إلى جانب تعدد منابع ثقافتهم.

ثانيا: اننا ركزنا الإهتمام على المقال الأدبي أكثر مما ركزنا على أنواع النثر الأخرى لأن إنتاج الجزائريين حول فلسطين في الإشكالية الأدبية النثرية الأخرى قليل إلى حد ما، ولأنه يدخل في التأريخ للأدب بوجه عام فيما يتعلق بالقضية، مما يمكن أن يكون مجال دراسة أخرى.

ثالثا: هناك ملاحظة هامة هي أن خطا واضحا يربط بين الكتاب سواء في بداية ظهور القضية على المسرح العالمي أو في تطورها عبر المراحل التي مرت بها حتى النكسة وظهور الكفاح المسلح الفلسطيني الذي جسد المقاومة بأجلى صورها وأعطى الأمل في العودة، هذا الخط هو أن فلسطين لا يحررها إلا الكفاح المسلح والتضحيات ووحدة الجهود والأهداف والمصير، أي أن شرط العودة هو وحدة العرب وتوحيد مواقفهم وأساليبهم.والكتاب الجزائريون يصدرون في رؤيتهم هذه عن تجربة طويلة مع الإستعمار ومع اليهود أنفسهم، ويصدرون عن مبادئ ثورة نوفمبر التي حررت الجزائر من سيطرة الإستعمار الأجنبي وهذا هو طريق فلسطين.

رابعا: أما فيما يتعلق بأساليب الكتاب فإنها كما أشرنا تتراوح بين الأسلوب الأدبي الذي يعبر عن مزاج الكاتب وقدرته وثقافته ورؤيته الخاصة وعنايته بالبيان والجمال والتأثير، وبين الأسلوب الصحافي العادي.

صحيح أن المقال الأدبي أيضا قد لا تتحقق فيه الوحدة المعنوية التي تربط بين أجزائه، وذلك لأن القضية التي يعالجها قضية حية في نفوس الناس وضمائرهم، مما يجعل الكاتب يتنقل من موقف إلى آخر أو يكرر أفكارا رددها في مقالات

سابقة، ولكننا مع هذا نجد مقالات أخرى تراعي سمات المقال وتعنى بالتركيز والتدرج في معالجة الموضوع.

وقد لا نستجيب اليوم لبعض الأساليب النثرية في هذه المقالات، خاصة تلك التي كتبت سجعا أو روعي فيها قدر من السجع كما روعي فيها قدر من السجع كما روعي فيها الإحتفال بالبلاغة العربية التقليدية أو العناية بغرائب اللغة وما إليها، قلت قد لا نستجيب لها اليوم، ولكنها في تلك الفترة التي كان التركيز فيها على التراث واحيائه وعلى اللغة العربية وبقائها لتعبر عن خوالج الكتاب لأنها اعتبرت غريبة في وطنها، كانت هذه الأساليب محل اهتمام المتلقين واعتبارها نموذجا راقيا للبيان العربي.

وفيما يتصل بالنثر بعد السبعينات فإن الجيل الجديد من القصاصين مثل الشعراء - كما سبق القول- عني عناية خاصة بقضية فلسطين لأنه فتح عينيه على حرب السبعينات، ولأنه عاش أصداء ثورة نوفمبر المجيدة، ثم عاش الفترة التي تفجرت فيها الثورة الفلسطينية في منتصف الستينات، وتابعها أملا في انتصارها وتعاطفا مع كفاح أبنائها، وانبهر بزخمها ومدها المرتفع كل يوم، فكان يتابع أخبارها لحظة بلحظة، ينفعل لما يسمع من تضحيات أبنائها وتنوع أساليب نضالهم،

فكتب القصص والمقالات الأدبية والصحافية مشيدا بهذه الثورة العارمة التي فاجأت كثيرا من الناس مثلما فاجأتهم ثورة نوفمبر التحريرية.

وحين نطالع إنتاج هؤلاء نلحظ هذا العمق في التصوير والوعي في التعبير والفهم المتقدم لهذه القضية، لأن وعي الكتاب قد تطور هو الآخر وأصبح التعاطف مبنيا على العقل والتحليل بدلا من الإحساس التلقائي، كما أن فهم الأدباء للحركة الصهيونية أصبح فهما سليما بحيث أدركوا عنصريتها وتوسعها وهدفها النهائي الذي هو طرد الشعب الفلسطيني واحلال سكان أجانب بدلا منه بعد الإستيلاء على أكبر مساحة ممكنة من الأراضي العربية.

ولقد عرف الجزائريون هذا النوع من الإستعمار وذاقوا ويلاته لذلك لم يستهينوا بالفكر الصهيوني كما أنهم أدركوا مدى مساندة الإمبريالية للصهيونية لأن هدفها واحد هو استغلال العرب وتصفية هذه القضية.

وقد استمر خط الكتاب في تصويرهم وتعبيرهم عن هذه القضية، استمر في تصاعد منذ بداية القرن حتى اليوم، وزاد من اتساع دائرة الإهتمام بها دور اتحاد الكتاب الجزائريين في فترة السبعينات، إذ كان دائما يدعو إلى إقامة الندوات والملتقيات

الثقافية حول الإنتاج الأدبي الذي يعالج هذه القضية، كما يدعو إلى تنظيم محاضرات تتحدث عن فلسطين من كافة النواحي، وشارك الأدباء الجزائريون والفلسطينيون والعرب الآخرون في هذا النشاط الأدبي فكانت تلقى القصص من على منبره مثلما تلقى القصائد الشعرية التي تتحدث عن فلسطين وكفاحها: كما أسهمت الصحافة بدور بارز في نشر هذا الإنتاج والتنويه به، شأنها في ذلك شأن كافة المؤسسات الإعلامية والثقافية التي أسهمت في التعريف بهذه القضية وتعميق الوعي بها على نطاق الشعب كله.

ويمكن اعتبار السبعينات فترة تضاعف فيها الإنتاج الأدبي الذي اهتم بقضية فلسطين، وكان الأدباء في تلك الفترة يربطون بينها وبين العروبة مثلما فعل الرواد الأوائل، وهو الخط الذي استمر في تصاعد منذ بداية هذا القرن حتى اليوم.

وكانت قناعة الكتاب تنطلق من هذه الرؤية العربية للقضية وشمولها، ولكن مع قناعات تضاف إلى هذه الرؤية وترتبط بالأديب وفهمه ووعيه واتجاهه الفكري والعقائدي... فبالإضافة إلى أنها قضية عربية أو قضية حرية فهي أيضا قضية عدالة وعقيدة دينية، فهذه كلها أفكار متشابكة قد يتغلب جانب منها عند أديب على الجوانب الأخرى، ولكنها تصب في

النهاية ـ في مصب واحد هو الإيمان بعودة فلسطين وتحررها وحق أبنائها ـ في الإستقلال والوجود.

ويطول بنا الحديث لو ضربنا أمثلة أخرى مما كتب الأدباء الجزائريون، وحسبي أنني أشرت إلى ذلك، ومن أراد المزيد فإنتاج الكتاب متداول يمكن الرجوع إليه ودراسته بالتفصيل وتقويمه شكلا ومضمونا.

ومهما يكن من أمر فإن كتاب النثر فيما يتعلق بقضية فلسطين مثلهم مثل الشعراء قد عبروا عن تعاطفهم الواضح مع فلسطين ومع الأمة العربية وجسدوا ارتباط الجزائر بالعالم العربي وبقضيته الأولى التي يؤمنون بحتمية انتصارها وعودتها لأبنائها وللأمة العربية.

أهم المراجع:

دواوين:

- ديوان محمد العيد آل خليفة، الشاعر محمد العيد، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1967م.
- اللهب المقدس، مفدي زكريا، المكتب التجاري بيروت، 1961م.
- همسات وصرخات محمد الأخضر السائحي، دار المطبوعات الوطنية الجزائر 1965م.
- أوراق محمد أبو القاسم خمار، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1968م.
- أطلس المعجزات، صالح خرفي الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1968م.
- ثائر وحب، أبو القاسم سعد الله دار الآداب بيروت 1967م.
- ألوان من الجزائر الأخضر عبد القادر السائحي، الشركة الجزائرية للتأليف والنشر 1968م.
- ديوان أحمد سحنون أحمد سحنون، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1980م.

- الروابي الحمر، صالح خباشة، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1970م.
- انفجارات، أحمد حمدي المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1968م.
- الشقاء في خطر مالك حداد ترجمة ملك أبيض عيسى دمشق 1959م.

دراسات:

- تقويم الأخلاق محمد بن العابد الجيلالي، المطبعة الإسلامية بقسنطينة الجزائر 1927م.
- صفوة الإعتبار لمستودع الأنصار والأقطار، عمر بيرم الخامس التونسي المطبعة الإسلامية القاهرة 1884م.
- عيون البصائر محمد البشير الإبراهيمي دار المعارف القاهرة 1963م.
- كتاب الجزائر أحمد توفيق المدني دار المعارف القاهرة 1963م
- ليل الإستعمار فرحات عباس ترجمة أبي بكر رحال مطبعة المغرب.

- تاريخ الجزائر الحديث – سعد الله، معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة 1970م.
- مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر سيمون بفايفر- ترجمة أبو العيد دوفو الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1974م.
- انطباعات.. دين مطبعة البعث قسنطينة الجزائر 1977م.
- المقالة الصحفية (أطروحة مخطوط) محمد ناصر.
- قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، د عبد الله ركيبي. معهد البحوث والدراسات العربية القاهرة 1970م.

دوريات:

ذو الفقار	عدد 4 وعدد 28	البصائر	1937/8/13م
	جويلية 1914م		3 سبتمبر 1937م
الفاروق	7 مارس 1913		سبتمبر 1938
البرق	1927/6/2م		1947/12/22م
جريدة التقدم	1923/11/1	المغرب العربي	عدد 1947/15م
جريدة الفلاح	1929/12/12م		1948/27/24
وادي ميزاب	1930/01/25	المغرب العربي	عدد 43
المغرب	1930/7/4		وعدد 1949 44

البلاغ	1931/3/1	الشعب	22- 29
الشهاب	1934/9/11		ديسمبر 1962

كتب أخرى للمؤلف:

- الشعر الديني الجزائري الحديث: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1981م
- قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر معهد البحوث العربية القاهرة ط 1970/1م. الدار العربية للكتاب – تونس، ليبيا ط 1977/2، المؤسسة السابقة بالإشتراك مع المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر ط3
- الأوراس في الشعر العربي ودراسات أخرى، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر 1983م.
- تطور النثر الجزائري الحديث، معهد البحوث العربية القاهرة ط 1975/1، الدار العربية للكتاب، تونس ليبيا ط1978/2م، المؤسسة السابقة، بالإشتراك مع المؤسسة الوطنية الجزائرية ط1983/3م
- القصة الجزائرية القصيرة، الهيئة العامة للنشر والتوزيع القاهرة 1969م، الدار العربية للكتاب –تونس ليبيا

1977/2. المؤسسة السابقة بالإشتراك مع المؤسسة الوطنية الجزائرية للكتاب ط 1983/3.

- دراسات في الشعر الجزائري الحديث، الدار القومية للطباعة والنشر القاهرة 1962م.
- أحاديث في الأدب والثقافة دار الكتاب العربي القاهرة 1966م
- نفوس ثائرة (مجموعة قصص) الدار المصرية القاهرة ط 1962/2 الشركة الوطنية للنشر والتوزيع الجزائر ط 1982/2م
- مصرع الطغاة (مسرحية) دار بوسلامة للنشر تونس 1959م.

يصدر له قريبا:

- عروبة الفكر والثقافة أولا، الدار الوطنية للكتاب الجزائر
- ذكريات من الثورة الجزائرية، الدار الوطنية للكتاب الجزائر
- الشاعر جلواح من التمرد إلى الإنتحار، الدار الوطنية للكتاب الجزائر





دار الكتاب العربي

للطباعة، النشر، التوزيع والترجمة





دار الكتاب العربي

الأعمال الكاملة

الدكتور عبد الله ركيبي، علامة بارزة في صرح الثقافة والإبداع الجزائري، بما أسداه من أعمال نقدية و أدبية كانت معالم في درب الثقافة و الإبداع الجزائري، وبما قدمه من جهود عميقة لإعلاء صرح جزائر الحرية و المجد فقد كان إرادة خيرة وبانية لأسس الانبعاث الفكري و الثقافي و انبعاث الوطن الجزائري، فلم يكن الكاتب الكبير عبد الله ركيبي كاتبا و فقط يبحث عن الشهرة والخلود، بل كان قلبا كبيرا حمل هم الوطن و هم الوطن العربي الكبير، وناضل ثقافيا وباستمرار لانتصار قيم البقاء في كيان الأمة العربية الكبرى، وكان جهده بعيد المدى و عميق الأداء فكان إرادة قوية في الدفاع عن اللغة العربية ومقومات الجزائر والعروبة السمحاء بمفهومها الواسع الأصيل المنحدر من اللغة العربية ومقوم الأمة الأكبر، إسلام الحب و السلام و الوحدة والحرية.

ويعد الكاتب الكبير عبد الله ركيبي، من جيل بناة مجد الجزائر فلم يفته أساس من أسس بناء مجد حاضر الجزائر الثقافي والفكري و الوطني إلا وبذل فيه الجهد الراسخ ليظل شاهدا على مجد كاتب أحب الجزائر من كل القلب، فأحبه أبناء الجزائر حب الأبناء للآباء.

دار الكتاب العربي

للطباعة، النشر، التوزيع والترجمة



صدر هذا الكتاب بدعم من وزارة الثقافة